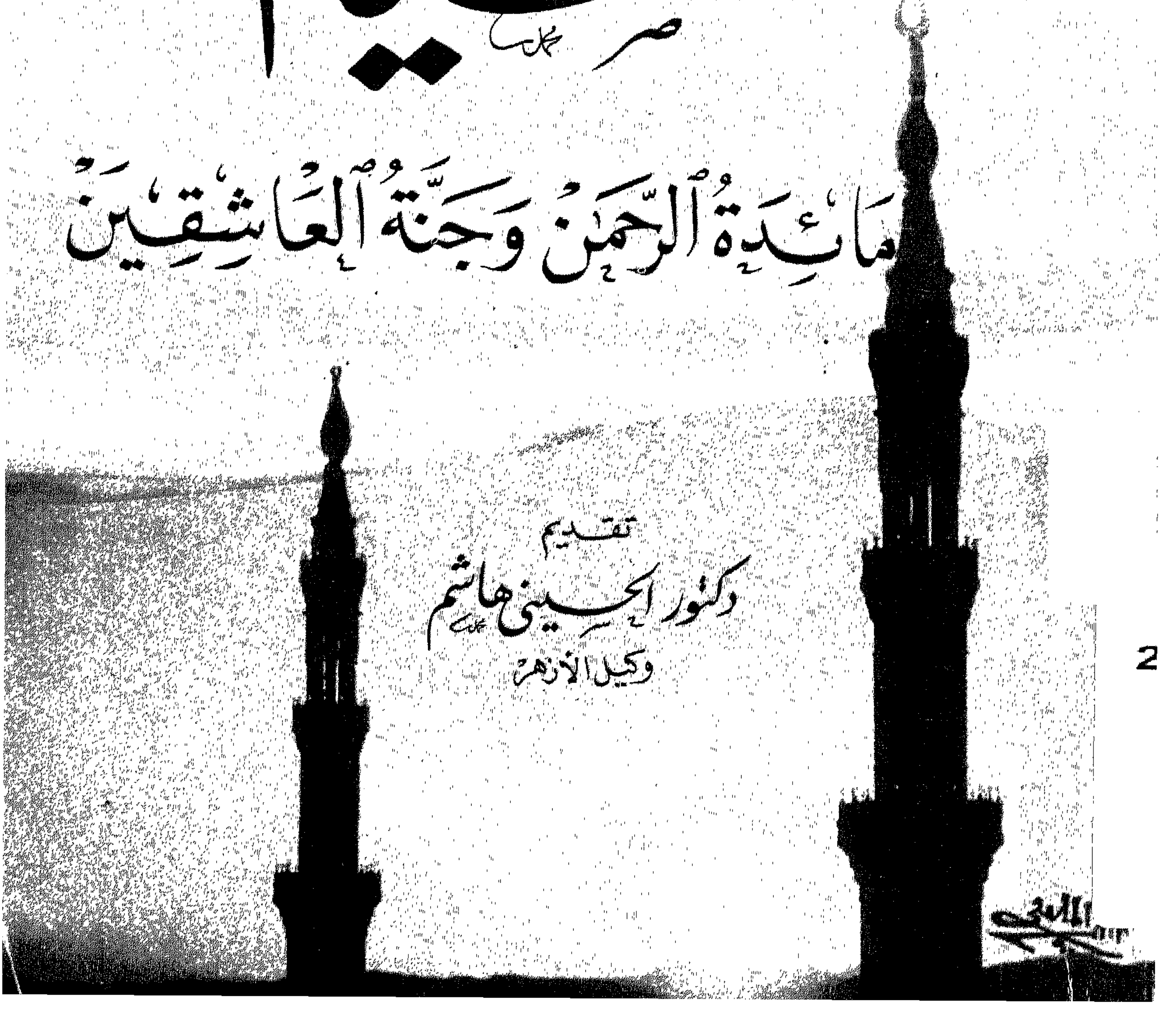
محمد رشوان

الصيام

مائدة الرحمن وجنة العاشقين



تقديم
دكتور الحسيني هاشم
وكيل الأزهر

2

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

محمد رشوان

الصيام

مائدة الرحمن وجنة العاشقين

تقديم

دكتور الحسينى هاشم

وكيل الأزهر

توزيع

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق

القاهرة - ت ، ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

لفضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم وكيل الأزهر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن كتاب « رمضان مائدة الرحمن » للأستاذ محمد رشوان

هو كما يقول المؤلف بحق « تأملات ومشاهدات ألحت على نفسى فى قضية الصيام » . فهو لم يكتب عن الصيام من حيث أحكامه وأركانه . وإنما تناول أسرار الصيام وروح العبادة ، وللإيمان والعبادة حلاوة وذوق وطعم يحسه العارفون المتعمقون ، عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » أخرجه البخارى .

إن الحب فى الله ولله منهج الإسلام ، حب لله تبارك وتعالى ، وحب للرسول ﷺ ، وحب لما يحبه الله ورسوله من صفاء العقيدة الطاهرة والإخلاص لله ، وحب للقرآن ونوره ، والسنة ونضارتها . والعبادات الإسلامية ومراقبة الله فى العبادات والمعاملات والأخلاق .

إن التصوف مراقبة لله . إنه الإحسان الذى عرفه رسول الله ﷺ فى رده على سؤال جبريل « والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » رواه مسلم .

والمسلم المحب لله ورسوله يرى الله فى الصيام والصلاة والزكاة والحج والمعاملات ، فهو فرح بنفسه وبعمله وبإيمانه ، قال رسول الله ﷺ « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة فيقول الصيام : يارب منعته الطعام والشراب فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : يارب منعته الراحة والمنام فشفعنى فيه ، فيشفعان فيه » .

وقد ذكر المؤلف الآيات القرآنية فى الصيام والأحاديث الشريفة ، وتناول زهرات من رياض العارفين بالله ، ولهم وزنهم ومدارسهم وفكرهم المستنير . وحسب الصيام أنه منارة التقوى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وحسب رمضان فضلاً ونوراً وروحانية إنه شهر القرآن « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » فأى خير عظيم ، وأية نعمة شاملة ومنة كاملة جاء بها البر الرحيم فى شهر رمضان ؟ . إنها نعمة القرآن التى لا يقوم بها شكر ، ولا يمكن أن يفى بها حمد وثناء ، ولو لم يكن لرمضان غير نزول القرآن الكريم فيه لكفاه شرفاً وتكريماً .

لقد بين المؤلف أوصاف عباد الرحمن فى القرآن الكريم : إنهم حلماء كرماء ، لا يسيئون إلى إنسان وإن أساء إليهم ، وأنهم

لا يقابلون السيئة بالسيئة ، وأنهم لا يشهدون الزور ، ولا يخوضون فى اللغو من الكلام . ولا يأتون حراماً ولا محظوراً . يخافون ربهم ، ويجلون نبيهم . ويقدسون دينهم ، ويصغون بعد ذلك كله إلى كتاب الله ، يتدبرون كلامه ، ويتأملون أحكامه ، ويتذاكرون آياته ، ويحفظون كلماته . ويسألون الله فضله ورحمته .

يقطعون نهارهم صائمين ، ويقضون ليلهم قائمين متهجدين ، يبكون ذنوبهم ، ويرجون من الله جمال العاقبه وحسن الختام .

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجّدا وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . إنها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » .

وبعد : فإن المؤلف بذل جهداً مشكوراً فى توضيح فضل الصيام وأسراره ، وإلقاء الضوء على التصوف معرفاً ببعض الشخصيات الصوفية التى كان لها أثر مشهود فى حياتنا الروحية ، مذكراً بواجب الصوفية الذى يجب أن يلتزموه الآن ، حتى يؤتى ثماره اليانعة الشهية ، وحتى لا يكون هناك تعارض بينه وبين الحياة العصرية .

أسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل ، ويرزقنا حسن الاستجابة إنه سميع مجيب . هذا وبالله التوفيق ،،،

٩-من جمادى الأولى ١٤٠٦هـ
تحريراً فى ١٩ من يناير ١٩٨٦م

وكيل الأزهر
دكتور الحسينى عبد المجيد هاشم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأشهد أن لا إله إلا الله سبحانه وتعالى : ﴿ **علَّم القرآن . خلق الإنسان . علَّمه البيان** ﴾ وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ﴿ **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ .

اقْتضَت رحمتهُ سبحانه وتعالى فى سَابِق عِلْمه وحكمته أن ادَّخرَ لهذه الأمة نبياً رسولاً ، رؤوفاً رحيماً ، سراجاً منيراً ، فَجَعلَه سبحانَه وتعالى الأول فى خَلْقِه والآخِر لرسالته ، علَّمنا الكِتاب وبَسَط لنا الآيات وزكَّى نفُوسنا وطهرها من ظلمات الشِّرك فأشرَقَت أنوار حِكْمتِه فى قلوب العارفين من عِبادِه فجدَّد بِهِم الدِّين وثَبت بِهم اليقَين ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ ,

اللَّهم إنَّا نَشْهد أن رسُولك الكَرِيم قد علَّم ووعَظَ وأمر ونَهى ونَصَح الأمَّة بما تُحِب وترَضى ، اللَّهم صلِّ وسلم عليه كما وعدْت وأمرْت وابْعَثهُ مقاماً محَموداً ، الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد .

وبعد :

تَقَلبْت فى السياسة كاتِباً وخَطِيباً وسِرْت فى دُرُوبها وتَرَبعْت على كراسيها حتى نِلْتُ من المناصب أعلاها وأرفَعها وذُقْت حَلاوتها ومَرَارتَها ، فَحُلْوها مُر ومرُّهاَ علَقم وأحمد الله أنَّني لَمْ أُصِب مِنْها ذهباً ولا فِضَّة ولكِنَّها إرادة الله سَبقت وما شاء الله كان .

كان يراودنى الحَنِين إلى الاجْتِهاد فى الدين فَذَهبْتُ ذات ليلة إلى فضيلة الشيخ عبد الباسط القاضى وهو من أولياء الله الصالحين والأبناء البَررَة للإمام محمد ماضى « **أبو العزائم** » قدَّس الله سره قلت له : إنِّى أخشى من السياسة

والدُّنيا أنْ تُبعِدنى عن ربِّى . قال رضى الله عنه « الدنيا يا بُنىَ كما وصفها الله ﴿ **إنما الحياه الدنيا لعب ولهو** ﴾ فهل ما تقوم به لعب أو لهو ؟ » : قلت لا أعتقد قال : إذا كان ما تقوم به لا يُغضب الله فأنت بعيد عن دائرة الخطر .

وفى منتصف ليلة الحادى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٨١ وأنا فى الخرطوم يُدق التليفون فى غُرفَتِى والمتحدِّث سفير مصر فى الخرطوم يهنِّئنى بالوزارة بعدما ما سَمِع نَشْرة الأخبار من راديو القاهرة ، شكرته وتوضأت فصلّيت ركعتين شكراً لله ودعوت ربى قائلاً (اللهم لا تجعلها فتنه واحفظنى منها) .

إن هؤلاء الرجال من المتصوفه عالم آخر فى علومهم وزُهْدِهم ومعرفتهم بالله شَرِبُوا من علوم الشريعة والحقيقة عن رسول الله ﷺ وما بدَّلوا تَبْدِيلا .

كَمْ كُنت أشتاق إلى مجْلسِهم وكُتبُهم التى امتلأت بها مكتبتى وكان يراودنى الحنين إليها وقد حببنِى والدى رحمه الله عليه ورضى عنه فى الكتب الدينية وكنت أشعر أن هذه الكتب التى ازدحمت بها مكتبتى تُعاَتِبنِى وقد تركْتها مهجورة وها أنا أعود إليها لأقدِّم كتابى الثانى فى الخواطر والإشارات عن (الصيام) .

الصيام عبادة الروح والسر والإمام محمد ماضى « **أبو العزائم** » يضىء لنا الطريق ويكشف لنا عن بعض أسرار الصيام وأنواره فقد عَشق رضى الله عنه هذه العبادة وَتغَنَّى بها بما لم أجدْ بين المعاصرين من فحول المتصوفة ـــ يقول رضى الله عنه :

أصوم وصومى فوق قدر إشارتى ... صيام به صمدى بغير طعام
شَهِدْتُ وفوق العَرش واللوح فوق ما ... إليه اشتياق فى شديد غرامى
هنا قف لسانى تَرْجِمَنْ عن لطائفى ... ولا تَتَعـــدَّى روضة الإسلام

وإنى لا أدعِّى لنفسى علماً أو فضلاً فى هذا الكتاب وإنما أنا كالذى دخل بستاناً فاختار من الزهور أجمْلها ومن الرياحين أزكاها ليقدِّمها لإخوانه بين دفتى هذا الكتاب وإن كنت قد قصَّرْت فى أن أشير إلى المراجع أو تخريج

الأحاديث الشريفة فى موضعها إلا أننى قد وضحت كل المراجع التى أخذت عنها أو نقلت منها حتى ولو كانت كلمة أو فكرة ..

اللهم اغفر لى إن نسيت أو أخطأت ..

ولا تؤاخذنى ما جهلت أو قصّرت ..

واجعل حبّى لرسول الله ﷺ وورثته من أحبَابِك مقام صدق وشفاعة لى يوم ألقاك يارب العالمين ..

وأرجو ألّا أكون قد ذهبت أو انزلقت فى الحديث فيما أنا لست أهلاً له ..

إنك أهل التقوى وأهل المغفرة يا أرحم الراحمين ..

محمد رشوان

القاهرة : رمضان المعظم ١٤٠٦ هجرية
مايو ١٩٨٦ ميلادية

مشاهد وخواطر

إن هى إلا خواطر راودتنى ..
وحيرة شغلتنى ..
وتأملات ومشاهد ألحت على نفسى فى قضية الصيام ..

وليست هذه محاولة منى لأكتب عن الصيام من حيث أحكامه وأركانه . فإن فِقْه الدين والعبادات له من الرجال والعلماء الذين أُثروا المكتبة الإسلامية بما قدموا من كتب ومراجع أشرقت بها علوم الشريعة فرَضِىَ الله عنهم وأكرم مثواهم .

الصيام عبادة الصبر والمجاهدة .

مجاهدة النفس التى قال عنها رسول الله ﷺ (الجِهَاد الأكْبر) وعامة الناس يُقْبِلُون على صَوْم رمضان المعظم إقْبَال تَكْلِيف لِأداء الفريضة نظراً لما يجدوه من مشقه الجوع والعطش .

فهل نستطيع فى هذه الخواطر أن نكشف عن شىء من فضل هذا الشهر وسُمُو مكانته بين سائر العبادات وكَرَامَتِه عند الله وملائكته ورُسِله والراسخين فى العِلْم .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وماَ يَعْلم تأْوِيلَه إلاَّ الله والراسِخُون فى العِلْم يقُولون : آمنَّا بِه كلُّ مِنْ عندِ ربنَّا ﴾ .

هل نستطيع أن نزيل عن قلوبنا من حُجُب الغفلة والمَلَل حتى تُشرِق فى قلوبنا بعض أسرارِه وأنواره فنستقبله استقبال العاشقين الوَالِهين كما كان يفعل أحباب رسول الله ﷺ وورثته .

ومافرض الله سبحانه وتعالى العبادات عقاباً لنا ولكنه فتح بها أبواب الرحمة والجنات لينظر أينا أحْسَنُ عملاً ..

إن الشيطان يتربص بنا الدوائر وقد توعد بنى آدم حتى يَلْتَوِىَ بِهِم الصِّراط المستقيم ويومئذ لا تنفعهم شفاعة الشافعين ..

﴿ وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ .

ويقول الهادى البشير ﷺ ناصحاً لأمته ومعلماً :

« **إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من العروق فَضَيِّقوا مجاريه بالجوع** » .

أى بالصيام أو الاعتدال فى الطعام والشراب . وللعاشق المتصوف **﴿ حسن البصرى ﴾** مقولة فى ذلك محذراً من البطنة أى الشره فى الطعام يقول :

« إذا نزلت بك البطنة تقول : يا غلام آتنى شيئاً أهضم به طعامى ، أطعامك تهضم أم دينك تهضم ؟ أين الفقير والأرملة والمسكين واليتيم ؟ أين الذين أمرك الله بالبر إليهم ؟ لقد وسَّعتُم دِيَاركم وضيَّقْتُمُ قُبوركم ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

تُقْبِل على العبادات وقد يداخِل نفسك الملل والعجلة والغفلة فتشعر أنها ثقيلة على النفس والله سبحانه وتعالى غَنِىٌّ عن العالمين لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم لأنها محل مناجاة الرب ــ يقول الرسول ﷺ :

« **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم** » ويقول : « **ألا إنَّ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب** » .

ويحذِّرنا ﷺ أن نقبل على العبادات إقبال الغافلين المحرومين فيقول : « **رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع وقائم ليس له من قيامه إلا السَّهر** » .

وقال ﷺ للأعرابى الذى تعجل فى صلاته « **ارجع فصل فإنك لم تصل** » .

إن الله سبحانه وتعالى يفتح لك أبواب الجنان فى رمضان وينزِّل **عليك** الملائكة لتستغفر لك ويعدك ووعده الحق بالمغفرة والرضوان ، وأنت تُقْبِل عليه إقبال المتثاقلين لا يشغل بالك إلا أنواع الطعام التى تُعِدُّها على مائدة **الإفطار** ورسول الله ﷺ يُنَبِّهنا إلى ذلك فيقول « **عَجِبَ ربُّك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل** » أين أنت من أحباب الله الذين تستقبلهم الملائكة وتقول لهم : (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .

هل تستطيع أن تقول عندما يشرق هلال رمضان : لبَّيك لبَّيك ربَّنا سَمِعْناَ وأطَعْناَ فمرحَباً بشهر القرآن والصيام والنبى العدنان ؟ وأن تلقاه لقاء العاشق المحب وأن تتذوق أحاديث رسول الله ﷺ الذى يقول فى بعضها :

« **لو يعلم الناس ما فى رمضان من الخير لتمنوا أن يكون رمضان السنة كلها** » .

« **لو أُذِنَ للسموات والأرض أن تتكلما لقالتا بُشْرى لِمنَ صاَم رمضاَنَ** » .

هل نستطيع أن نَلْقىَ رمضان المعظم فى شوق ولهفة ونستعد له بالذكر والفكر والشكر فننظف قلوبنا ونُطَهِّرُهَا من الغفلة والشهوات فنُحيِّيه بالصيام والقيام : يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس** ﴾ .

هل نستطيع أن نُطَهِّرَ قلوبنا من شهوات الدنيا حتى يكون الرحمن أنيسُكَ وجليسك فتشرق فيك أنوار وتجليات الحق سبحانه وتعالى وعلىْ قدر اشتياقك يكون إقبال الله عليك ..

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وطهر بيتى للطائفين ﴾ ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

ويقول الإمام محمد ماضى أبو العزائم :

أطوف بصومى حول كعبتك التى
هى الذات فى شرع وفى استعصام[1]
أحِنُّ إلى شهر الصيام لأننى
من البدء كان الصوم سر غرامى

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : الصيام والاعتكاف فى رمضان تصعيد لإيمان الإنسان وتدريب على الصفاء الكامل مع الله واستعداد لرحلة الركن الأخير من أركان الإسلام .

ويقول الإمام إبراهيم الدسوقى :

لله قوم شروا بالدين أنفسهم   وقوموها بذكر الله أزمانا
أماَّ النهار فقد أخفوا صيامهم   وبالظلام تراهم فيه رهبانا
يتلذذون بذكر فى لياهم   ونهارهم لا يبرحون صياما

فالعاشقون وجدوا فى الصوم معراجاً إلى الله سبحانه وتعالى فهو العبادة التى اختص بها الأنبياء فتقربوا بها إليه سبحانه وتعالى قبل بعثتهم حتى تكون أرواحهم رضى الله عنهم مجانسة لأنوار الملكوت وليس عجباً أن تجدَ السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ أجهدوا أنفسهم بالصيام فى غير رمضان حتى أشرقت فى قلوبهم أنورا القدس والمعارف ..

وفى حديث رسول الله ﷺ مع الصحابى الجليل حارثة عندما قال له المصطفى ﷺ وما هى علامة إيمانك ؟ فقال حارثة :

(١) يشير الإمام إلى الآية **﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾** .

يا رسول الله أظمأت نهارى وأسهرت ليلى إلى أن قال : وكأنى أرى عرش ربى وأهل الجنة يتزاورون وأهل النار يتصايحون .

وفى شرح الحكم لابن عطاء ورد أن حارثة قال (كأنى أرى) فقد استخدم الكاف للتأدب بين يدى رسول الله ولذلك قال له الرسول : (عرفت فالزم) أى اكتم السر عن غير أهله .

وعندما اجتمع خلفاء رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وقال كل منهم عليهم رضوان الله (حبب إلى من دنياكم ثلاث : قال الإمام على كرم وجهه :

(وأنا يا رسول الله حبب إلى من دنياكم ثلاث الصيام بالصيف ، وإكرام الضيف ، والضرب بين يدى رسول الله بالسيف) ..

أى أنه رضى الله عنه اختار للصوم أشد أيام الله مشقة وهى الشديدة الحرارة فى الصيف حتى يكون الصيام أوقع على النفس ومجاهدتها ولذلك يقول الرسول عن الإمام على كرم الله جهه :

(أنا مدينة العلم وعلى بابها) ..

فكان رضى الله عنه من المحدثين الذين تحدثوا بنور الله وعلوم رسوله بالحكمة ونور الشريعة ومنهم كذلك أبو هريرة رضى الله عنه الذى قال :

(أخذت عن رسول الله ﷺ جرابين من العلم حدثتكم بأحدهما ولو حدثتكم بالآخر لقطع منى هذ الحلقوم) ..

آيات الصيام فى القرآن

إن منهج هذه السياحة الروحية ومشاهدها التى أدعوك إليها يا أخى المسلم أن تصحبنا فيها بروحك عسى أن تشرق فى قلوبنا أنوار الصيام وبعض أسراره وعلينا أن نتأدب مع الله سبحانه وتعالى .

نبدأ بالنظر فى مشاهد الصيام فى القرآن المبين ثم نُثَنِّ بالحديث القدسى عن رب العزة وهدى رسوله الكريم ﷺ وأحاديثه الشريفة ما استطعنا .

ثم نختار من بعض مشاهد وأقوال العارفين بالله ورثة رسول الله ﷺ الذين قال فى حقهم سبحانه وتعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ .

نظرت إلى الصيام من خلال القرآن الحكيم فإذا هى أربعة آيات محكمات فقط وردت فى سورة البقرة واشتملت على أحكام وأركان الفريضة فى صوم رمضان . ثم ورد ذكر الصوم فى خمس آيات آخرى متفرقات وهى آيات كفارة وغفران بعض الذنوب وكبائر الإثم فى القتل الخطأ واليمين الغموس والتحلل من العمرة فى الحج والظِّهار والصيد لمحرم فى الحج .

ثم وردت كلمة « الصائمون والصائمات » ضمن عشر صفات للمؤمنين فى الآية الخامسة والثلاثين من سورة الأحزاب ، ثم آيتين فى صيام سيدنا زكريا والسيدة مريم العذراء عن الكلام ..

حَدَّثتنِى نفسى فقلت : إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن العظيم فى (٦٢٦٢) آية وأنت إذا أقبلت على المصحف لتقرأ فيه تجد آيات الصلاة والزكاة والصدقات تتكرر وتخاطب ضميرنا مئات المرات . فلماذا الكثرة هنا وآيات الصيام قليلة محدودة تُعَدُّ على أصابع اليد ؟ .

لماذا آيات الصيام قليلة وفضله عظيم وقدره كبير ؟ .

وإذا نظرت فى كتب المتصوفة من السلف الصالح تجد أنها اكتظت بمشاهد التوحيد والذكر والشهود والعشق الإلهى وعندما تكلموا عن الصيام أوجزوا أو رمزوا بإشارات قليلة يفهمها كل واحد على قدر إيمانه .

والله سبحانه وتعالى لا يتركنا فى هذه الحيرة فيقول لنا سبحانه وتعالى : ﴿ **فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

وباب المعرفة والذكر هو رسول الله ﷺ فقد وجدت فى أحاديثه ﷺ ما فيه شفاء لما فى الصدور وتنوير للقلوب . وسوف نتناول ذلك بإذن الله عندما نأتى باب « الحديث الشريف » .

وإليك بعض مشاهد المتصوفة عن الإشارات الربانية التى وردت فى آيات الصيام نوردها بإيجاز لا يُخِلُّ بالمعنى وأسأل الله التوفيق ..

يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام

أختصر لكم بعض مشاهد الإمام محمد ماضى أبو العزائم فى كتابه « أسرار القرآن » .

يقول رضى الله عنه فى التفسير : « يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله كتب الله عليكم الصيام وفرضه فمن أمسك عن شهوة الطعام والفرج وأباح شهوات الجوارح فقد تعدى حدود الله وانتهك حرمة الصوم وفاته من الأجر بقدر ما فَرَّط » .

أمرنا الله بصوم رمضان الذى أنزل فيه الكتاب لأن الصيام رياضة روحية تصفو بها النفس فتتلقى أسرار القدس وهى الأسرار العلية فيها تزكية النفس وكبح لشهواتها وبذلك يتفرغ القلب من تدبير الجوارح فيكون وجهته إلى الله سبحانه وتعالى وتصفو روحه التى حجبتها شواغل الجوارح وحجبها الوهم والخيال فتواجهه الملكوت أو ما فوق ذلك مما لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم .

﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ .

تحمدوه وتعظموه وتمجدوه بألسنتكم على تلك النعم العظمى التى اختصكم بها دون غيركم من صيام شهر رمضان ونزول القرآن حتى كنتم فى علم الله خير أمة أخرجت للناس .

وشكر اللسان هو ذكر الله . وشكر الجوارح هو الامتناع عن محارم الله وشكر القلب هو الاعتراف لله بالفضل والمنة والرحمة والنعمة .

وإذا سألك عبادى عنى

وإذا سألك يا محمد عبادى من أمتك عنى فبشرهم بأنى قريب أجيب دعوة الداع . والإجابة من الله عند قبول الطاعات والتوبة ومنح الرضا . وقد تفضل الله بإنزال هذه الآية ليجذب قلوب عباده والمقربين إلى المسارعة لله والابتهال إليه . وقد وردت بعد آية إنزال الكتاب وصوم رمضان وهذه الكمالات تقتضى استشراق الأرواح إلى معرفة أوقات الدعاء ليكون العبد شاكراً ضارعاً لله سبحانه وتعالى على هذه النعمة .

يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام

فى لطائف الإشارات لتفسير القرآن للإمام القشيرى . يبرز لنا بعض الإشارات والمعانى الروحية فى أيام الصيام فيقول :

الصوم ضربان : صوم ظاهر عن المفطرات مصحوباً بالنية وصوم باطن وهو صون القلب من الآفات والروح عن المساكنات والسر عن الملاحظات .

وصوم العابدين صون اللسان عن الغيبة والنظر عن الريبة وفى الحديث :

« **إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك** » .

أما صوم العارفين فهو حفظ السر عن شهود غيره .

ويذهب الإمام القشيرى فى شرح حديث رسول الله ﷺ :

« **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** » فيقول عند أهل الشريعة نهاية صومهم هو غروب الشمس وعند أهل التحقيق من الخاصة فصومهم لله وشهودهم لله وإقبالهم على الله فيكون غالباً على أحوالهم ، فنهاية صومهم أن يشهدوا تجليات الحق سبحانه وتعالى ..

فالصوم لله يحقق العبادة .

والصوم لله يصحح الإرادة .

والصوم لله إمساك عن الطعام والشراب من حيث أحكام الشريعة .

والصوم لله إمساك بإشارات الحقيقة .

من صام بقلبه سقى شراب المحبة .

ومن صام بسره فأولئك الذين قال فيهم سبحانه وتعالى : ﴿ **وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾ وهو شراب الاستئناس وليس شراب الكاس ، شراب لا يدار على الكف ولكنه يبدو لهم من اللطف .

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن

شهر رمضان شهر مفاتحة الخطاب وإنزال الكتاب .
شهر التقريب والإيجاب .
شهر تحقيق الزلفة ونزول الرحمة .
شهر النجاة والمناجاة .

وإذا سألك عبادى عنى

هذه الآية الشريفة فيها نداء لمن تحلى بصفة العبودية ويأتى ترتيبها بين اثنتين من آيات الصيام وربما يشير ذلك إلى أن العبد فى حالة صيامه يكون قريباً لمناجاة الرب من حيث طهارته الحسية والروحية وإخلاصه فى الإقبال على الله ، والرسول ﷺ يقول :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم »

يذهب الإمام القشيرى فى تفسيره : أن هناك أموراً فوّض فيها الحق سبحانه وتعالى الرسول ﷺ فى الرد عليها وتفسيرها أو تشريعها مثل :

ويسألونك عن اليتامى ..
ويسألونك عن المحيض ..
ويسألونك عن الشهر الحرام ..

أما فى آية الدعاء وإن كنت أنت السفير والواسطة بيننا وبين الخلق فإنى فى حالة الدعاء أرفع الحجاب والواسطة بينى وبين عبادى ﴿ **فإنى قريبٌ أجيب دعوة الداع** ﴾ قريب من عبادى المؤمنين لا يفصل بينى وبينهم مكان أو زمان .

وقد اختلف الإمام القشيرى فى التأويل لأن الله سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله :

﴿ **فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾

والاستجابة لا تكون إلا بتنفيذ أحكام الشريعة واتباع الرسول ..

يقول سبحانه وتعالى فى حق رسوله الكريم : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك** ﴾ ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ .

والله أعلم من حيث اختلاف المشهد والتأويل ..

الفصل الأول

آيات الصيام فى القرآن العظيم

- لماذا آيات الصيام قليلة ؟
- يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .
- فمن شهد منكم الشهر فليصمه .
- كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم .
- حكمة آيات الصيام .
- شهر رمضان القمرى .
- القرآن العظيم وشهر رمضان .

آيات الصيام فى القرآن الكريم

من سورة البقرة :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (١٨٣) .

﴿ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (١٨٤) .

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ (١٨٥) .

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ (١٨٦) .

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ (١٨٧) .

سورة مريم :

﴿قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ (١٠) .

﴿فكلى وأشربى وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ (٢٦) .

سورة الأحزاب :

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (٣٥) .

آيات الكفارة :

صفحة ٦٤ و ٦٥

لماذا آيات الصيام قليلة ؟

بعض الصادقين لهم مشاهد عن السؤال الذى راودنى فقالوا : والله ما هى قليلة فى كتاب الله ..

إن كان عددها قليل فَمَدَدُها كبير فقد أخفى الله سبحانه وتعالى فضل الصيام وأسراره فى آيات الكتاب فقال عز وجل :

﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ ﴿كتاب أُحكمت آياته﴾

وقد تشير قلة الآيات إلى أن الصيام جوهرة نفيسة بين سائر العبادات وكما قال الرسول ﷺ (الصيام ليس له عدْل أو مِثْل) والشىء النفْيس لا نحصل على ثمرته إلا بعد مجاهدة واجتهاد ..

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ .

ألم تر أن الله سبحانه وتعالى أودع اللالىء الثمينة فى قلب الأصداف وأودع الأصداف فى أعماق البحار ؟!!

ألم تر أن الله قد أودع الذهب والفضة فى باطن الأحجار ثم أودع الأحجار فى قلب الارض ؟!

وهكذا أودع الله سبحانه وتعالى أنوار الصيام وأسراره فى قلوب الرجال وفى باطن القرآن يشهدها كل من ذاق حلاوة الإيمان ..

وكان الإمام محمد ماضى أبو العزائم عندما يتغنى فى بعض مواجيده عن الصيام يذكر فى منظوماته شطراً من معنى الآيات يقول رضى الله عنه :

أصوم وعن علمى وكشفى ومشهودى ... لأنى بالله القريب صفا أنسى
وفى (كل شىء هالك) آى بها ... رأيت جميع الكون فى نسبه الأمس

يشير الإمام إلى الآية ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾ ويشير إلى الآية ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فهو فى حالة صومه تجرد من علومه ومشاهده فلم ير فى الكون إلا أسماء الله وصفاته (كان الله ولا شىء معه) ..

وقال :

ترا أيت فى شهر الصيام جميلا ... ألاح لروحى فى الوصول سبيلا
بقدرى تُجْلىَ لى معانى صفاته ... (وما قدروا) فاسأل أُخىَّ خليلا

يشير الإمام إلى الآيه ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ ويذكر أن وصوله إلى مقام القرب من الله سبحانه وتعالى فى حال الصيام أشهده معانى الصفات وتعدد النعم والموجودات ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ ويشير أن الصيام كان السبيل لوصوله إلى مقام المحبة لله سبحانه وتعالى فاتخذه خليلاً .

وكما قالوا إن الصيام هو عبادة السر وعبادة الصمت والسكون تسكن فيها الجوارح واللسان والبصر والسمع عن شهوات الدنيا وتشرق معانى الصيام فى قلب العابدين فيكون سراً بينهم وبين الله القريب ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ .

ويقول الرسول ﷺ :

« **إن عبادة السر أفضل من عبادة العلانية سبعين مرة** » لأنها بعيدة عن الرياء والسمعة بين الناس ..

فالعبادات كلها ظاهرة كالصلاة والحج والزكاة أما الصوم فهو عبادة باطنة ..

والعبادات تمتزج فيها الأعمال الجسمانية والمادية والروحية أما الصوم فهو عبادة روحية نورانية فلا يعلم حقيقة صومك إلا الله سبحانه وتعالى .

لذلك قال الله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى (الصوم لى وأنا أجزى به) .

فكما أخفى سبحانه وتعالى الصوم فى قلوب المؤمنين فقد أخفى الجزاء فى علم الغيب إلى يوم القيامة حتى تكون فرحة الصائمين عظيمة لأن عطاء ربك يومئذ لا يخطر على قلب بشر .

الصيام هو خروج عن مقتضى آدميتك فتترك الطعام والشراب وتتشبه بالملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم وهم لا يستكبرون ، ولكن هل اقتصرت آيات الصيام على الآيات الأربع التى وردت فى سورة البقرة ؟ إن الله سبحانه وتعالى بدأ آية الصيام الأولى بقول سبحانه وتعالى :

﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ﴾

الله سبحانه وتعالى ينادى الخلق فى القرآن المجيد بأوصاف متعددة يظهر فيها سر النداء فى مضمون كل آية فيقول سبحانه وتعالى يأيها الناس ـــ يا بنى آدم ـــ يا بنى إسرائيل يا أهل الكتاب ـــ يا معشر الجن والإنس ـــ والنداء بهذه الصفة يتراوح عدده فى القرآن الكريم بين ثلاث مرات إلى أربع عشرة مرة بدأت بها هذه الآيات ..

أما النداء بقوله سبحانه وتعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا** ﴾ بدأ الله سبحانه وتعالى بها فى القرآن العظيم فى ثمان وثمانين آية وردت فى اثنتين وثلاثين سورة فبشرى للصائمين ..

اقتصر النداء فى الصيام على الذين آمنوا ..

الذين أفردوا الله سبحانه وتعالى بالتوحيد وشهدوا أنه لا إله إلا هو وشهدوا لسيدنا محمد ﷺ بالرسالة والنبوة ..

النداء للذين وصفهم الله سبحانه وتعالى فى ختام سورة البقرة التى جاء فيها ذكر الصيام فقال فى وصفهم ﴿ **والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ .

النداء للذين قالوا سمعنا وأطعنا فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاطمأنت قلوبهم بنعمة الإيمان وأضاءت بصيرتهم بنور الشريعة وعلموا أن مصيرهم إلى الله فسألوه المغفرة ..

لذلك عندما قالت الأعراب آمنا وعلم سبحانه وتعالى أن شجرة الإيمان لم تكتمل فى قلوبهم فقال سبحانه وتعالى :

﴿ **قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم** ﴾

وقد ختم الله سبحانه وتعالى آية الصيام الأولى بقوله : (لعلكم تتقون) وختم الآية الثالثة سبحانه وتعالى بقوله ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ .

فكل آية ورد فيها النداء للمؤمنين أو المتقين أو الشاكرين أو الصابرين فقد أودع الله فيها النداء للصائمين والمصلين والمتصدقين والمتقين والشاكرين والذاكرين ـــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (البقرة ١٧٧) .

أليست هذه صفات الصائمين وقد ختمها الله سبحانه وتعالى بالتقوى التى ختم بها آية الصيام الأولى ؟! .

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ـــ الأنعام .

﴿ يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

﴿ يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ﴾ .

أليست هذه كلها صفات الصائمين الذين قالوا لبيك ربنا سمعنا وأطعنا ؟

الصبر ـــ الإيمان ـــ التقوى ـــ الشكر ـــ الزكاة والصدقة ـــ الوفاء بالعهد ـــ الصالحات أينما وردت هذه الصفات فى كتابه الكريم فهى صفات الصائم سترها الله سبحانه وتعالى فى آياته للمؤمنين والصائمين .

يقول المصطفى ﷺ « **الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** » .

وقد جمع فضيلة الشيخ عبد الباسط القاضى تلميذ الإمام «**أبو العزائم**» رحمه الله وأكرم مثواه شعب الإيمان فى تسع وسبعين شعبة استنبطها من القرآن العظيم فى كتابه (شعب الإيمان تحت الطبع) وقال : إن شجرة الإيمان لها أصول وفروع وأصولها وردت فى صفات المؤمنين العشرة فى سورة الأحزاب وورد فيها ذكر الصائمين يقول سبحانه وتعالى للصائمين الذين خاطبهم سبحانه وتعالى فى ندائه القديم ﴿ **يأيها الذين آمنوا** ﴾ لتشرق فى قلوبهم شعب الإيمان بقدر صفاء نفوسهم وإقبالهم على الله سبحانه وتعالى .

وهكذا ترى يا أخى أن آيات الصيام فى الكتاب المبين وإن كان ظاهرها قليل فباطنها وفير لا أول له ولا آخر ..

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾

فمن شهد منكم الشهر فليصمه

رمضان هو مائدة الرحمن لعباده الصائمين العابدين فيكونون أشد إقبالاً على مائدة الرحمن يغترفون من رحيقها ويرتوون من شرابها ويرتشفون من كأسها فى رمضان .

يقول الإمام محمد ماضى أبو العزائم :

مضى الصوم أنت الله جل جلاله — نفضَّل تَجَلَّ بالصفا يا باق
وفى محكم القرآن آى صريحة — (سقاهم) وإلى ثمَّ فى إشفاق[1]

يشير رضى الله عنه إلى قول الله سبحانه وتعالى (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً).

وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لنا فمن شهد منكم هلال رمضان ببصره وبصيرته وتجليات نزول القرآن فى هذا الشهر من بيت العزة إلى السماء الدنيا إلى أمين الوحى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ حتى وصل إليك فليقبل علينا صائماً ذاكراً شاكراً لأُجِلَّ عليهم رضوانى وأشْملَهم برحمتى وسلامى وأعرُجَ بِهم إلى مقعد صدق بفضلى ـــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿إن المتقين فى جنات ونهَر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ .

وفى هذه الآية الكريمة بدأ الله سبحانه وتعالى الخطاب للمتقين وقال « **إنَّ المتقين** لذلك أظهر الله حكمة الصيام بإشارة نورانيه فى آية الصيام فقال

(١) اشارة إلى الآية **﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾** .

سبحانه وتعالى ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام** .... ﴾ إلى أن قال : ﴿ **كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾ .

والتقوى هى القرب من الله وزاد الآخرة ﴿ **والآخرة خير لمن اتقى** ﴾ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ .

فالصيام عبادة القرب من الله سبحانه وتعالى وخير زاد للآخرة ..

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **والآخرة خير وأبقى** ﴾ .

كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

يقول شيخ المفسرين الإمام الطبرى عن تفسير هذه الآية :

يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب أياماً معدودات وهى شهر رمضان كله لأن من جاء من بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام كان مأموراً باتباع (إبراهيم) ذلك لأن الله جل ثناؤه كان قد جعله للناس إماماً وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان حنيفاً مسلماً . أما التشبيه فإنما وقع على الوقت ذلك أنَّ من كان قبلنا إنما كان فرض عليهم شهر رمضان مثل الذى فرض علينا ..

وكما قلنا : إن شهر رمضان عظيم القدر والشرف فى السماء والأرض فى علم الله القديم قبل خلق السموات والأرض لذلك فقد اختصه الله عز وجل بإنزال القرآن الكريم وكل الكتب السماوية للأمم السابقة فيه .

يقول الله سبحانه وتعالى **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** والعبادات أصلها واحد لأنها متصلة بجوهر العقيدة وإثبات طاعة الله والعبودية للخالق وكما يقول الشيخ الشعراوى رضى الله عنه فى أحاديثه : إن جوهر العبادات الطاعة لله لأنه سبحانه وتعالى يقول لك افعل كذا أو لا تفعل كذا وقد فرضت الصلاة والزكاة والصيام على الأمم السابقة ولكنهم بدَّلوا وغيَّروا فَنُسِخَتْ شَرَائِعهُم وكُتُبهُم وجاءَت رسالة الكمال والتمام والنعمة على يد سيد الأنام محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام ..

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ .

ويقول فضيلة الشيخ الشعراوى : إن عبادة الصيام هى الركن الذى أتم الله به الدين ..

وكما سنبيِّن فى باب صيام الأنبياء عليهم السلام أنهم جميعاً صاموا قبل بعثتهم ليتطهروا من شهوات الجوارح حتى تصبح أرواحهم مجانسة للملكوت الأعلى وتلقِّى الوحى . قال الله لموسى عليه السلام ﴿ **اخلع نعليك** ﴾ وكان صيامهم صلوات الله عليهم قبل بعثتهم إما بالإلهام أو الرؤيا الصادقة أو الوحى ثم فرض الصيام على أممهم بعد ذلك ..

ومن تفسير القرطبى وحديث رسول الله ﷺ نستنبط أن صيام الأمم السابقة كان فى شهر رمضان لأنه شهر إنزال الكتب السماوية .

وأن التشبيه فى الآية الكريمة ﴿ **كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ هو تشبيه فى العبادة من حيث الفرضية وليس فى الكيفية والعدة ..

ولقد صامت اليهود فى شهر رمضان الذى أنزلت فيه التوراة ثم ابتدعوا أشكالاً متعددة وبدلوا وغيروا فى المواقيت وحللوا بعض أنواع الطعام وحرموا بعضها الآخر ما كتبها الله عليهم .

وجاء عيسى عليه السلام مقتدياً بصيام موسى عليه السلام فقال (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) ولكن الكنائس والفرق المسيحية غيَّرت وبدَّلت وجعلته فى بعض الملل اختيارياً أو تطوعياً وحللوا بعض الطعام وحرموا بعضه وغير ذلك من الطقوس ..

ثم بدل أهل الكتاب الصيام إلى الشهور الشمسية بدلاً من القمرية ليكون فى الربيع أو الشتاء واجتنبوا الشهور الحارة .

لقد وجدت أن آيات الصيام التى وردت فى التوراة أو الإنجيل برغم ما فيها من أشكال الاختلاف إلا أنها لم تُحَددّ زماناً وشكلاً للصيام وطقوسه فأصدرت المجامع الكنيسية أوامر مختلفة تختلف باختلاف المذاهب ..

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ ﴿ وإنَّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ .

حكمة آيات الصوم

هنا يأتى المشهد الثانى للرد على خواطرى التى بدأتها لماذا آيات الصيام قليلة ومحكمة ؟ .

لقد وضحت لكم أن الأمم السابقة بدلت وغيرت مواقيت الصيام التى فرضها الله على أنبيائهم وكانت كلها فى شهر رمضان القمرى . بدلوها إلى الشهور الشمسية التى توافق هواهم وبدلوا نسك العبادة وهيئتها وكشف الله لنا عن أمرهم فقال سبحانه وتعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ .

لذلك جاءت آيات الصيام فى القرآن محكمة حددت الزمان والمواقيت ووضحت الأركان والأحكام بصيغة الإعجاز القرآنى لا تبديل لكلمات الله حتى أصبحت محفوظة كما فرضها الله سبحانه وتعالى إلى أن نلقى الله بها يوم القيامة كما يجب ويرضى .

﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ﴾ .

هو محفوظ فى اللوح الأعظم فى علم الله ، محفوظ فى القلوب إلى أن يرفعه الله من الأرض ليعود إلى حيث أنزل من السماء وذلك عندما تدنوا القيامة وساعتها .

شهر رمضان القمرى

يقول سبحانه وتعالى (فمن شهد منكم الشهر) فأنت تصوم رمضان ثلاثين يوماً مع دورة القمر (هلالاً وبدراً ومحاقاً) تصوم مع دورة القمر حول الأرض .

ثم تصوم مع منازل الشمس الإثنى عشر تصوم تارة فى الصيف شديد الحرارة ليزداد أجر صيامك ، وتصوم فى الشتاء شديد البرودة ليزداد أجر قيامك فكأنك تصوم مع دورة الأرض حول منازل الشمس كما صمت مع دورة القمر حول الأرض إلى أن تلتقى الدورة القمرية مع الشمسية فتبدأ مرة أخرى ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ فأنت فى صيامك مع الأملاك والملكوت .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ﴾ .

﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴾ .

ويقول الإمام القشيرى فى تفسيره : إن الله سبحانه وتعالى ألَاحَ لقلوب الناظرين بعيون الفكر حقائق التحصيل فمن استضاء بها ترقى إلى شهود القدرة .

وللمتصوفة الذين تَرَقَّوْا فى مقامات الشهود فى صيامهم ما يشير إلى هذا المقام ..

وجوهر العبادة هى للتدبر والتفكر فى آيات الله حتى تشهد قدرة المنعم سبحانه وتعالى عليك ﴿ **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾ ..

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أُمَّةً مسلمة لك وأرنا مناسكناً ..

فبشرى لكم أيها الصائمون ..

الفصل الثانى

القرآن العظيم ورمضان الكريم

القرآن مأدبة الرحمن فى رمضان

القرآن العظيم ورمضان الكريم

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ﴾ ـــ التوبة ـــ

نظم سبحانه وتعالى حركة الحياة كلها ، ولم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها وكل شيء عنده بمقدار **﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾** ـــ يس ـــ

خلق سبحانه وتعالى المكان والزمان ثم قسم الزمان إلى مواقيت للناس ليعلموا عدد السنين والحساب أفرد سبحانه وتعالى من هذه المواقيت والشهور ، شهراً بذاته فذكره باسمه فى القرآن الحكيم دون سواه من الشهور وسماه بنفسه سبحانه وتعالى ـــ رمضان ـــ وطلب منا أن نُعَظِّمه . شهر رمضان ، إنك لا تجد غيره من الشهور مذكوراً فى القرآن الكريم إلا رمزاً وإن شرف التسمية يأتى من عظمة المناسبة وقَدْرَهاَ عند الله ورسوله ﷺ ـــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾

شهر رمضان :

هو شهر الإعلام الربانى والبلاغ المبين لأهل السموات والأرض يبعثه خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ إلى عام الظهور من باطن غار حراء ليخرجنا سبحانه وتعالى من الظلمات إلى النور ـــ يقول جل وعلا :

﴿ **وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾

﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا** ﴾

شهر رمضان

شهر الدِّين الجامع الذى نُسِخَت به جميع الأديان السابقة والكتب السالفة ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **إنَّ الدين عند الله الاسلام** ﴾ ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ .

شهر رمضان

هو شهر القرآن ومائدة الرحمن للعالمين : هو القرآن العظيم والكتاب المبين والقرآن الكريم والكتاب الحكيم والقرآن المجيد والنور المبين والقرآن ذى الذكر وصفات القرآن وأسماؤه لا تعد ولا تحصى أنزله سبحانه وتعالى فى ليلةٍ مباركة وسماها كذلك ﴿ **إنَّا أنزلناه فى ليلة مباركة إنَّا كنا منذرين** ﴾ .

وسماها ليلة القدر وهى خير من ألف شهر ﴿ **إنَّا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ يتنزل الله سبحانه وتعالى فيها على عبادة بالخيرات والعطايا كالمطر المنهمر .

* شهر رمضان

شهر الفرقان التى فرق الله سبحانه وتعالى فيه بين الحق والباطل ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ فرَّق الله بين الظلمات والنور يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾ .

* شهر رمضان

شهر البرهان فهو الحُجَّة لنا والمَحجَّة على الكافرين والنور الذى أضاء قلوب العارفين ــ يقول سبحانه وتعالى للكافرين ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن**

كنتم صادقين ﴾ ويقول لأهل الإيمان ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً** ﴾ .

* شهر رمضان

شهر الذِّكر : فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم فيه ذكر باللسان وشهود بالقلب والجَنَانِ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم** ﴾ (الأنبياء ١٠)

وقال أحد العارفين : عندما أريد أن أتحدث إلى ربى قمت إلى الصلاة وإذا أردت أن يُحَدِّثِنى ربِّى قرأت القرآن ..

لا أهدف فى هذا المقام أن أتحدث عن القرآن وإعجازه والكتاب وعلومه والبرهان وحُجَّته والنور المُبِينِ ومشَاهِدِه والذِّكْر وأسرارِه فهذا مقام يَقْصرُ عنه قلمى ولكن كما قلت على قدْر شرف التَّسْمِية « شهر رمضان » . تكون عظمة المناسبة ونورها عند الله سبحانه وتعالى ورسوله والمؤمنين .

يقول فضيلة الإمام محمد مصطفى المراغى رحمه الله عن شهر رمضان (إن فيه نِعْمتين : نِعْمةَ القرآن الكريم ونِعْمة الصوم ، نعمة العلم والنور والهداية ، فبالصوم ترتاض النفس وتسكن إلى الحق وتبتعد عن رذائل الشهوات وترتقى إلى أفقها السماوى الروحانى مستعدة لتلقى الفيض الإلهى لتفهم معانى الآيات .

ألم أقلْ لكم إنه مائدة الرحمن يَبْسطُها على الأرض للمؤمنين من عبادة ..

فى رمضان اجْتمَعَت أنوارٌ أربعة ـ بعثَةُ المصطفى ﷺ وبُشْرى الإسلام ونُزُول القرآن وإفْرادُ هذا الشهر بالصيام ليكون الركن الأسمى والعطاء الأوفَى فى الإسلام .

وقد قِيلَ فى شرح هذا الاسم (رمضان) إنه اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى يتجلى فيه بمعنى الغفور يقول ﷺ : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وفى رواية أخرى غَفَر الله له ما تقدم من ذنبه .

وقيل إنَّ معنى رمضان إنه يَرْمِضُ الذنوب أى يحرقها .

مأدبة الرحمن فى رمضان

لكل شيء فى الوجود طعام تستقيم به الحياة ، حتى شعاع الشمس والهواء فهما طعام بدونهما تنتهى الحياة ، وطعام القلوب والأرواح هو القرآن العظيم .

فإذا كانت الأوراح جوهراً نورانياً من أمر الله ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ فالقرآن روح قدسية نورانية من أمر الله سبحانه وتعالى :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾

ويقول الإمام القشيرى فى تفسيره إنَّ الله سبحانه وتعالى سمَّى القرآن روحاً لأن من آمن به وقرأه صار قلبه به حيا — ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **ينزِّل الملائكة بالروح من أمره** ﴾

فالقرآن يقيم الحياة فى القلوب الميته وينشر النور فى القلوب المظلمة — **يقول** سبحانه وتعالى — ﴿ **أو من كان ميتاً فأَحْيينَاه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ فالذى يتلو كتاب الله جعله الله نوراً والذى يهجره فهو يتخبط فى الظلمات .

وقال أحد الصالحين لتلاميذه : أنا أعلم متى يذكرنى الله ومتى أجلس معه فقالوا له : كيف يا سيدنا ؟ فقال لهم إن الله يقول (أُذكرونى أذكركم) ويقول فى الحديث القدسى (أنا جليس من ذكرنى) فالقرآن هو أعظم الذكر فإذا قرأت القرآن كنت جليساً للرحمن وذَكَركَ سبحانه وتعالى فى الملأ الأعلى .

ولا نجد أحلى من حديث رسول الله ﷺ وهو يصف القرآن :

« إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حَبْل الله المتين . والنور المبين والشفاء النافِع ، عِصْمةٌ لِمنَ تمسَّك به ونَجاَة

لِمَنْ اتبَّعه ولا يزيغ فَيُسْتَعْتَب ولا يعْوَج فَيُقَوَّم ، ولا تنقَضِي عَجائِبُه ولا يخْلَقُ عن كَثْره الرد . فاتلُوه فإنَّ الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات لا أقول (آلم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وفى رواية أخرى :

من ابتغي الهدى فى غيره أضلَّه الله . هو حَبْل الله المَتِينُ وهو الذِّكر الحكيم والصِّراطُ المستقيم . هو الذى لا تَزيغُ به الأهواء ولا تَلِبْسُ فيه الألسنَه ولا يخْلَقُ من كثرة الرَّد ولا تنَقْضي عجائبه . هو الذى لم تَنْته الجن إذ سمعته أن قالوا : إناَّ سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به من قال به صدَقْ ومن حَكَم به عَدلْ ومن عَمِلَ به أُجِرْ ومن دَعا إليه هُدى إلى صراطٍ مستقيم .

فتلاوة القرآن هى أفضل عبادة للذِّكر هى فريضة وسُنَّة أمر بِهاَ الله ورسوله ــ يقول سبحانه وتعالى بالأمر ﴿ اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك ﴾ .

ويقول الله سبحانه وتعالى **﴿ واذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾**

ويقول سبحانه وتعالى **﴿ ص . والقرآن ذى الذكر ﴾**

فتلاوة القرآن هى أفضل عبادة للذِّكِرْ بالذِّكر وهو القرآن العظيم ..

ويقول ﷺ محذراً من هجر القرآن وترك تلاوته (مأدبة الله القرآن فلا تَهْجُروه) ويقول سبحانه وتعالى **﴿ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾**

أتريد أن يكون القرآن والرسول خصْمَيْن لك يوم القيامة يوم يتخلَّى عنك أولادك وأزواجك وأصحابك **﴿ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾** .

إن رمضان الكريم هو عيد القرآن العظيم فيه أنزل فأشرقت أنواره فى عالم الملك والملكوت وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان النبى **أجْودَ** الناس

بالخير وكان أجود ما يكُون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام كل ليلة فى رمضان حتى ينْسلِخ يعْرِض النبى ﷺ عليه القرآن فاذا لَقِيَهُ جبريل عليه السلام كان النبى ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .

كان السلف الصالح يعْكِفْ على مدَارسة وقراءة القرآن فى شهر رمضان ويتعبَّد به فى الصلاة بل كانوا يقرءون القرآن كله فى صلاة التراويح أو التهجد فى شهر رمضان طاعة لله ورسوله ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾

وكان السلف الصالح مثل الإمام الشافعى والإمام أبى حنيفة يخْتِمُون القرآن مرتين كل يوم فى رمضان مرة بالنهار ومرة بالليل بل إن الإمام « مالك » إمام دار الهجرة كان يعْتَكِف عن درس العلم والحديث فى رمضان ويعْكِفْ على قراءة القرآن من المصحف الشريف وكانوا يسمُّون شهر رمضان شهر القَطِيعَة من الخلق والفرار إلى الخالق .

وما كان إقبالهم على القرآن فى رمضان إلا لأنهم أخذوا عن رسول الله ﷺ العلم بالقرآن فأقبلوا عليه يتلونه ويَتَدبّرُونه تأخذهم الخشية والعِبْرة ويصدُق فيهم قوله سبحانه وتعالى **﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ﴾** .

يسجدون لله سجود الخَشْية من جلال القرآن ومن الله . وسجود الشكر لنعمة القرآن وقد علموا أنهم حال تلاوتهم تتنَّزل عليهم الملائكة وتجلس معهم ــ يقول سبحاته وتعالى :

﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾

إذا كانت مشاغل الحياة قد أخَذَتْ مناً كل مأخذ فلم نأخذ بحظّنا من القرآن أفلا نُقبِل عليه فى شهر الغفران الذى تُضَاعَفْ فيه الحسنات ..؟!! .

وكما حبَّبنَا الله ﷺ فى الصيام فها هو صلوات الله وتحياته عليه يحبِّبنا فى الإقبال على القرآن .

(١) قال رسول الله ﷺ عن رب العزة : « **من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » ــ رسول الله ﷺ كما فتح لك أبواب الحب والنعمة فى الصيام فها هو يفتح لك أبواب العطاء والرجاء فى تلاوة القرآن ..

يقول ﷺ :

(٢) من قرأ القرآن فقد اسْتدَرجَ النبُّوة بين جنْبيْه إلا أنه لا نبى بعدى يوحى إليه .

(٣) اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .

(٤) من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يُكْتبَ عند الله من الغافلين .

(٥) إن من ليس فى قلبه شىء من القرآن كالبيت الخَرِبِ .

(٦) لو كان القرآن فى إهاب (قلب المؤمن) ما أكتله النار .

(٧) من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة .

(٨) نوِّروا بيوتكم بالصلاة وتلاوة القرآن .

(٩) يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه .

(١٠) ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآن يوم القيامة .

(١١) القرآن شافع مشفع من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله وراء ظهره ساقه إلى النار .

(١٢) وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأحسن مثواها قالت عن رسول الله ﷺ : البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما يتراءى النجم لأهل الأرض .

وقراءة القرآن تكون بالتفكُّر والتدبُّر فى معانيه حتى يُشرِق فى قَلبْكَ نوره — يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لِيَدَّبَّروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ ..

والاستماع له يكون بالأدب والإنصات — يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾

﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجَلتْ قلُوبُهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ .

والله سبحانه وتعالى عندما تقرأ القرآن يحفظك من كيد شياطين الإنس والجن — يقول جل وعلا ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً** ﴾ .

وإذا كنت من الذين لا يحسنون قراءة القرآن فعليك بالاجتهاد لأن الله سبحانه وتعالى سييسر لك تلاوته وسيأجرك عليها بل سيزيد فضله وأجره — يقول المصطفى ﷺ « **الماهر بالقرآن من السفرة الكرام البَررَة (الملائكة) والمُتتَعْتِع فيه فلَهَ أجران** » أى الذى يقرأ القرآن بمشقة وصعوبة فله أجران ، أجر التلاوة وأجر الجهد والمشقة التى يجدها فى التلاوة — يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة** ﴾

ومن نعمة الله سبحانه وتعالى أنه أتى فى القرآن بالسّور الطوال وبالقصار ولكلّ حسب طاقته ورسول الله ﷺ كشف لنا عن أنوار وأسرار السُّور القصار حتى لا يدُاَخِلك شك فى أنَّ فضلها كبير فقال : إن من قرأ سورة الإخلاص فله ثواب قراءة ثلث القرآن ..

ويقول ﷺ :

« **مَثَلُ القرآن لمن تعلَّمهُ وقرأة مثل جِرابٍ محشُو مِسْكاً تفوُح رِيُحهُ فى كل مكان** » .

ويقول ﷺ « **إنما هما اثنان : الكلام والهَدْىُ فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهَدْى هَدْى محمد** » ..

* أفلا تتأدب يا أخى مع الله ورسوله ؟

إذا بعث لك صديق عزيز برسالة فأنت تَفُضُّها بِشَغف وتقرؤها مراتٍ ومراتٍ وهى من أمور الدنيا فما بالك والله سبحانه وتعالى بعث لك برسالة عظمى مع رسوله الكريم وكتاب مبين فيه خير الدنيا والآخرة هل نتركها فى المصاحف المذَهّبه نزيِّن بها الحجرات ، تتركها مهجورة كأنها قطعة من الأثاث فى المنزل .

والله إن هذه المصاحف ستشكوك إلى ربِّك يوم القيامة وتقول (ربِّ إن فلاناً تركنى مهجوراً ، فلم يحِّرك به عينيه ولسانه لتلاوتى — أين حياؤك مع الله ؟ .

وإذا كانت قراءة القرآن واجبة فى كل الأوقات فأولى أن تقبل على كتاب الله فى شهر رمضان ﴿ **فاقرءوا ما تيسَّر منه** ﴾ نقرؤه بقلوبنا حتى يفتح الله بصيرتنا . فشهر رمضان شهر التنزيل ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ شهر التنزيل والعطاء الجزيل . والله يدعوك ويقول لك :

﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾ ..

كم بقى من العمر والله يقول لك ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ .

الله سبحانه وتعالى يناديك من فوق سبع سموات والعرش العظيم ويقول لك :

﴿ **ولقد يسَّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكِر** ﴾

الله يقول لك لقد بَسَطْنا لك الكتاب ويسرناه لك بأنواره وحلاوته لأنه كلامى فهل أنت مُقْبِل علينا بِذِكْرِه حتى أَذْكُركَ فى الملأ الأعلى ؟ .

* ماذا تنتظر والرسول ﷺ يقول لك (الصيام والقرآن يشفعان لك يوم القيامة) أَلَسْتَ فى حَاجَةٍ إلى شفاعته يوم ينظر المرء ما قدَّمَت يداه ..؟!

أدعوك وأدعو نفسى أن يفيض الله علينا أنوار هذه الآية الكريمة :

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ ..

* إن أول كلمة أنزلت على رسول الله فى الليلة المباركة فى ليلة القرآن فى عيد الأمة الإسلامية :

اقرأ

اقرأ

﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ .

* فعسى بهذه الكلمات أن يشرح الله صدورنا فنقبل على مائدة الرحمن لتُشْرِقَ قلُوبُنا بأنواره حتى تنزل علينا السكينة وتغشانا الرحمة فنقرأ القرآن ..

قال رسول الله ﷺ لأسعد بن خضير :

« تلك الملائكة تَسْمَعُ لك ولو قرأت لأصبَحْت يراها الناس مالم تستتر عنهم » .

كان أسعد بن خضير يقرأ سورة البقرة من القرآن فى إحدى الليالى فى فناء منزله فجالت فرسه فقرأ ثم جالت فقرأ ثم جالت فقرأ فخَشَيَ أن تطأ ابنه يحيى فقام فوجد مثل الظُّلة فوق رأسه فيها أمثال السُّرج عَرَجَتْ فى الجو فلما أصبح روى لرسول الله ﷺ ما حدث فأجابه بأن ما رآه الملائكة ــ الحديث ــ

الفصل الثالث

الصيام يغسل الذنوب

- غفران الذنوب .
- كتب ربكم على نفسه الرحمة .
- الصيام يكفر الذنوب وكبائر الإثم .
- صيام التطوع .
- صيام النذر والشكر .

الصيام يغسل الذنوب ولا شيء يعدله

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان ويعلم ما تُوسوِسُ به نَفْسهُ وهداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً وشقَّ له السَّمع والبصر وزيَّنه بالعَقْل ليرتفع به عن مرتبة الحيوانية . فبه يعمل وبه يُحَاسَب ، وزُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المُقَنْطَرة من الذهب والفضة يسعى إليها حلالاً أو يُصِيبُ منها حراماً ومن رحمته سبحانه وتعالى أن بعث إلينا بالرسل والأنبياء وأيَّدهم بالحُجَّة والمعجزات هُداةً ومرشدين يقول الرسول ﷺ :

« كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن جعل لكل ذنْبٍ أو خطيئة مغْفِرة وكفَّارة ليُطَهِّرنَا من رجْسِ الشيطان وكيْدِه وما من عبْدٍ طَرَقَ بابَهُ سبحانه وتعالى آناء الليل وأطراف النهار إلاَّ ووجد الله عِنْدَه غفوراً رحيماً . يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ﴾

والإشارة الروحية لهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل واسطة بين الخلق والحق . إلا فى الدعاء فقد رفع الواسطة وقال : **﴿ إنى قريب ﴾** يقول سبحانه وتعالى : **﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾**

وعن رسول الله ﷺ قال :

« ما من صوت أحب إلى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يارب فيقول الرب : لبيك عبدى سَلْ ما تريد أنت عندى كبعض ملائكتى وأنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك ــ اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له » .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى من بين العبادات الصيام تزكية للنفوس ومطْهَرة للذنوب صغِيرِها وكبيرها للغنى والفقير .

فالصيام يغسل الذنوب ـــ يقول ﷺ « **الصيام ليس له عَدْلٌ أو مِثْل** »

ولكن لا شيء يكفر الصيام إن أفطرت عمداً دون رخصة أو سبب ولو صُمْت الدَّهر كله .

الصيام وغفران الذنوب

بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل إلى أمم سبقتنا يدعُونَهم إلى الهُدى ودين الحق وعبادة الرحمن وترك ما يَعْبُدون من أصنام وأوثان وأيدهم سبحانه وتعالى بالآيات والبراهين والمعجزات الكونية وما آمن معهم إلا قليل .

ولما استيأس الرسل دَعَوْا على أُمِمَهِم فعذبَّهم الله سبحانه وتعالى بالهلاك فى الدنيا وأنذرهم بالعذاب الشديد فى الآخرة ليكونوا لجهنم حطباً .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **كلٌّ كذَّب الرسل فحق وعيد** ﴾ ــ ق ــ

ثم بعث الله سبحانه وتعالى رسولنا الكريم محمداً ﷺ مبشرا وهادياً ونذيراً ورحيماً وحريصاً على أمته . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ ــ التوبة ــ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

ويقول الرسول ﷺ « **إنما أنا رحمة مهداة** »

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّلَ على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم** ﴾ ــ محمد ــ ٢ــ

ورسول الله ﷺ الحريص على أمته إلى أن تقوم الساعة دعا ربه فى حظيرة القدس عند ما عِرُجَ به إلى الملأ الأعلى وكان فى مقام قاب قوسين أو أدنى فقال : ﴿ **ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا** ﴾ ــ البقرة ــ

أكرم الله سبحانه وتعالى هذه الأمة التى آمنت بدين الله سبحانه وتعالى وشهدت أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ .

﴿ **لتؤمنوا بالله ورسوله وتُعزِّرُوهُ وتوقروه وتسبحوه بكرةً وأصيلا** ﴾
ـــ الفتح ـــ

وكان فضل الله علينا عظيماً فرفع قدرنا عن كل الأمم السابقة فى الدنيا والآخرة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾

فتح الله سبحانه وتعالى لنا باب التوبة والمغفرة على مِصْراعيه ورفع عنا الإصْر والأغلال وطهَّرنا من الشرك فعرَّفنا الطريق إليه إلٰها واحداً ليس كمثله شيء فأقبل علينا بنوره ورحمته وعطائه وكرمه ووصف لنا الدواء من أمراض الدنيا وشهواتنا على يَدِ طبيب القلوب ومطهِّر النفوس محمد ﷺ .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾

رحمة الله وبركاته عليك يا سيدى يا رسول الله

﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾

وعندما دخل رسول الله ﷺ مكة منتصراً وأشرقت أنواره حول البيت ودَكَّ الأصنام وحطَّمها وأذَّن سيدنا بلال فوق البيت لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا وجَدَ رسول الله ﷺ نفسه أمام صناديد قريش وكفارها الذين أخرجوه وعذبوا المسلمين وقهروهم فأطلق سراحهم ومنع قتالهم وقال قولته الحكيمة :

« **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » فدخلوا فى دين الله أفواجاً ، فكان منهم بعد ذلك قواد الجيوش وأعلام الإسلام الذين نَشَرُوا الدين فى مشارق الأرض ومغاربها .

وحسن الظن بالله من الإيمان فهو سبحانه وتعالى فتح الطريق إلى الجنة لكل من يَطْرُق بابه ويقف على أعتابه وضَاعفَ لنا الحسنات . يقول سبحانه وتعالى .

﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون** ﴾ ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾

وعن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه « **ما من عبد أذنب فاستغفر الله يقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدى أذنب فعلم أن له ربا يغفر الذنوب . أُشْهِدُكُم يا ملائكتى أنّى قد غفرْت له** » .

وقد قال إبليس لربه « فبعزتك وجلالك لا أبرح اغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال له سبحانه وتعالى ﴿ **وبعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى** ﴾

كتب ربكم على نفسه الرحمة

يروى رسول الله ﷺ فى الحديث القدسى عن رب العزة .

« **لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عَنَان السماء غَفَرتُها له ما استغفرنى ورجانى** » .

« **يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن عَلِمَ أنّى ذُو قُدْرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى . أنا أكرم وأعظم عفوا من أن أسْتُر على عَبْدٍ مُسْلم فى الدنيا ثم أفضحَه بعد أن سترته ولا أزال أغفر لعبدى ما استغفرنى . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى . يا ابن آدم لو أنك أتيْتنى بِقِرَاب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بِقَرابِها مغْفِرة** » .

ورسول الله ﷺ يعلم أن النفس أمارة بالسوء وأننا أمة ضعيفة ففتح لنا أبواب الرجاء فى قبول التوبة فقال :

« **والذى نفسى بيده لو لم تُذْنِبُوا لذَهَب الله تعالى بكم ولَجاَء بقومٍ يذْنِبُون فيستغفرون الله فَيغْفِر لهم** » .

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ .

﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة** ﴾ .

﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾ (النساء : ١١٠) .

﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

صدق الله العظيم

جعل الله سبحانه وتعالى الاستغفار والتوبة مَطْهَرة للقلب وتزكية للنفس وزيادة فى الحسنات ورفعة فى الدرجات ـــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾ وذلك يكون باللسان وهو الذكر ـــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً** ﴾ ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾ .

ويكون بالفكر وبالندم والإنَابَةِ إلى الله والإقرار بالذنب ومحله القلب ـــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **إنّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقَّاهُم نَضْرةً وسروراً** ﴾ .

ويقول الله سبحانه وتعالى فى الذكر باللسان والفكر ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ .

ويكون بالصدقة يقول سبحانه وتعالى ﴿ **فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله** ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ .

كذلك يكون بالعبادات ومنها الصيام وذلك لأنَّ الصيام يَرْمِضُ الذنوب أى يحرقها ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل الصيام تَطْهيراً للذنوب كفارة لبعض الكبائر .

ويقول الإمام أبو العزائم قدس الله سره إن الصيام والتوبة يشتركان فى معنى (الترك) فالصيام ترك لشهوات الجوارح من طعام وشراب وشهوات الجسد والتوبة ترك المعصية وإنابة إلى الله ويقول : الصيام لغة الصمت فهو صَوْلة الروح لقهر الجوارح وتزكية النفس حتى تُصْبح مجانِسة للملكوت الأعلى تنال به الرفعة عند ردِّها إلى أسفل سافلين وبتلك الرفعة تتلقى من ربها فضل الإنابة المُوَصِّلة إلى المقام الذى أكرمها ربها به وهو الدخول إلى جنة الرضا بعد أن تتجردَّ من مقتضيات الجوارح وتَتطَهَّر من محارم الله فتكون صائماً بجوارحك منيباً إلى ربك وهذا هو الجهاد الأكبر .

ويقول الإمام أبو العزائم إن معنى قول رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف إن (الصيام جُنَّه) أى وقاية من المعاصى والتخلق بأخلاق الملائكة وعمار الملكوت .

الذين لا يأكلون ولا يشربون وصُحْبة مع الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنَّ الله مع الصابرين** ﴾ ومعناها الصائمين وفى الحديث القدسى « **أنا جليس من ذكرنى** » والصائم فى حالة صمْتِه ونومه فهو فى عبادة أى ذِكرْ مع الله .

الصيام يكفر الذنوب وكبائر الإثم :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾ ومن وُسْعَة رحْمتِهِ سبحانه وتعالى أن شرع لنا أطهر عبادة التى تقرب الأنبياء بها إليه وهى الصيام لتكون باباً للتوبة .

جعل الصيام سبحانه وتعالى كفارة للحِنْثِ فى اليَمِينْ وقَتْلِ النفس خطأً و الصيد فى الحج والعمرة أو التمتع بالعمرة فى الحج أو فى الظِّهَار .

(١) من حَلفَ بالله مؤكداً على ما حلف عليه ثم حَنِثَ فى يمينه فعليه أن يكفر عن ذلك إمَّا بعتق رقبة أو اطعام عشرة مساكين أو صيام ثلاثة أيام — يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾ .

(٢) قتل النفس من أكبر الكبائر عند الله سبحانه وتعالى — يقول سبحانه وتعالى :

﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ .

إلا أن الله فتح لنا باب التوبة عند قتل النفس خطأً وكفارة ذلك إما بالنَّفقة أو الصيام يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلَّمة إلى أهله إلا أن يصَّدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فَدِيَة مُسَلَّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً ﴾ .

(٣) كفارة الظهار

كان من عادة العرب أن يُقْسِمُوا على زوجاتهم ويقولوا « أنتِ محرَّمة عليَّ كظهرِ أمى » وهو نوع أقسى من الطلاق فتضبح المرأة كالمعلَّقة وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك حفاظاً على الأسرة وصيانة لحقوق المرأة — فذكر سبحانه وتعالى فى سورة المجادلة :

﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع

فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴾ .

(٤) كفارة التمتع :

من تمتع بالعمرة إلى الحج أى تحلّل من إحرامه وباشَر الأُمور الشرعية التى أباحها الله انتظاراً ليوم عرفه فكفارته صيام عشرة أيام .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهَدْىِ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾ .

(٥) كفارة الصيد للمُحْرِم :

نهى الله عن قتل الصيد أو ذبحه للمحرم فى الحج وجعل كفارته هدْياً أى بذبح شاة وتقدمها صدقة لله سبحانه وتعالى أو صيام ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هَدْياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره ﴾ .

ولا شيء يكفر عن الصيام :

وكما رأيت يا أخى أن الله سبحانه وتعالى قد شرع لنا الصيام فيما أوردناه من آيات محكمات ليكون كفارة للذنوب وبعض كبائرها وحكمة ذلك فى الحديث القدسى الذى رواه رسول الله ﷺ عن رب العزة (الصيام لى وأنا أجزى به) وكأن الله سبحانه وتعالى يقول : إننى أنا الله لا إله إلا أنا خلقتكم وأعلم بكم من أنفسكم يقول سبحانه وتعالى : **﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾** .

« وقد شرعت لكم الصيام وأعلم قدره عندى تطهيراً لقلوبكم وتزكية لنفوسكم وقد خَبَّأْتُ لكم الجزاء يوم القيامة لتكون فرحتكم بعطائى عظيمة

وتكون الجائزة على قدرى ومن فضلى ورحمتى وليس على قدر أعمالكم » ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ .

فالتقوى هى زاد ليوم الميعاد ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ .

ومن قصيدة للإمام محمد ماضى أبو العزائم يكشف فيها عن هذا الفضل يقول :

فى صيامى هَبْ لِى العناية وفِّق ... للمراضى مشَاهِدَ التوحيد
يا مغيث المضْطَرِّ هَبْ لي مَتَاباً ... أقْبِلَنْ بى عليك فى تأييدِ
جَمِّلنىٍّ بما تُحب وترضى ... كى أنال الحسنى وخيرَ المزيد
يوم ألقاك فاغِفْرَنْ لى ذنوبى ... واستر العيب والرضا مقصودى

وإذا كان هذا هو فضل الصيام فى تكفير الذنوب فما بالكم بفضل شهر رمضان المعظم لمن صامه وأقام حدوده ــ يقول الرسول ﷺ فى الحديث الشريف :

(عليك بالصوم فأنه لا عدْل له أو مثْل) أى أنه أرفع عند الله وأعلى من سائر العبادات وفى هذا المقام يقول الإمام محمد ماضى أبو العزائم :

ما الصوم إلا بُراق للعرُوجِ إلى ... مقام عالين حيثُ مشارق الشمس
فى الصوم تَسْبحُ روحى فى ضياَ المغْنىَ ... عندَ المُجانِسْ من عرش ومن كرسى
يُفارِق الجسم صومى وهو نور هدىً ... والصوم يجعلنى فى حُظْوة الأُنسِ

يقول الإمام : إن أنوار التوحيد أشرقت فى قلبه فسبحت روحه التى تطهرت من شهوات الدنيا حال الصيام وعرجت إلى الملأ الأعلى فكان فى مشهده العالى فى حالة فرار إلى الله ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾ فُطُمِستْ فيه شهوات الجسد وأصبحت روحه تجانس الملأ الأعلى وهذا مقام أهل الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه ــ الحديث ــ

لذلك كان عقاب الله سبحانه وتعالى لمن يفطر يوماً واحداً فى شهر رمضان الخِزْى فى الدنيا وسوء المصير فى الآخرة لأنك بذلك كفرت بنعمة الله وفَضْلِه وهرَبتَ من ضيافَتِه وكرمه يقول ﷺ فى الحديث الشريف :

« من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة أو مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه » .

فالصيام يكفّر الذنوب ويحرقها ولا شىء يكفّر الصيام فكما قال رسول الله ﷺ **« ليس له عَدْلٌ أو مثْل »** .

صيام التطوع

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ إن الدين عندَ الله الإسْلامَ ﴾

﴿ ومنْ يَبْتَغ غير الإسْلَامِ ديناً فلَنْ يُقْبلَ مِنه ﴾

وقد شرح لنا رسول الله ﷺ أركان الإسلام ووضَّحها فى الحديث الشريف :

« بُنِىَ الإسلامُ على خَمْس : شَهادَة أنْ لا إلَه إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسُولُ الله وإقَامِ الصَّلاةَ وإيْتاء الزكَّاة وصَوْمُ رمضَان وحجِّ البيْت لِمَنْ استَطَاع إليهِ سَبيلاً » .

وقد علمَّنا رسول الله ﷺ حدود هذه العبادات وأركانها ومواقيتها وحلالها وحرامها فمن أدَّاها بحقِّها فقد أسقط الفرض أى أدى حق الله سبحانه وتعالى وقليل ما هم وعندما قال أعرابى لرسول الله ﷺ : إن أديَّتها أدخل الجنة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم تدخل الجنة . فقال الأعرابى : والله لا أفعل غيرها . قال رسول الله : أفلح إن صدق .

أفلح إن استطاع أن يؤدِّى حقها دون نقص أو تقصير وهذا عسير على الناس ..

لذلك فتح لنا رسول الله باب السُنَن والنوافل والتطَوُّع فى العبادات رحمةً وصِلَةً فهى بالنسبة لعامة المسلمين توبة ومغفرة وتكفير للذنوب فتسد النقص فى العبادات وبالنسبة للمؤمنين رفْعةٌ فى الدرجات .

يقول فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الباسط القاضى فى كتابه حكمة أحكام الدين :

« جعل السنة والنوافل صلاةً وصلِة دائمة لأحبابه وبُراقاً مستديماً لطلابه حتى يقفوا دائما برحابه » أفلا تحب يا أخى أن تكون فى معية رسول الله فى الدنيا والآخرة ..؟!

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾

ويقول فى فضل الاتباع لسنة رسول الله ﷺ ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ .

وما أحسن أن نقول : لربنا : قد أمرتنا بصيام شهر رمضان فصمناه وشرع لنا رسول الله التطوع بالصيام فاتبّعنْاه . يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ .

ترك لنا الرسول ﷺ حرية الاختيار وحرية الإقبال على مائدة الرحمن فيقول : (المتُطَوِّع أمير نفسه فإن شاء صام وإن شاء أفطر) ثم يأمرك أن تكون معتدلاً فى النوافل من غير مغالاة أو تطرف فيقول ﷺ :

« **إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق** » .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ الوسطية فى أمور الحياة والعبادات من غير تكلف أو مغالاة فإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب .

يقلّب رسول الله ﷺ النظر فى أمته ويريد ألا يجعل للشيطان إليهم سبيلاً وألا ينظروا إلى ما متّع الله به المشركين والمنافقين فيقول :

« **إن الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولكنه لا يعطى الآخرة إلا لمن يحب** » .

وإذا كنت قد وضحت لك قدراً يسيراً من فضل الله ونعمته علينا فى صيام شهر رمضان فما بالكم بثواب وفضل التطوع وهو شراب المحبة .

الفَرْضُ هو القيام بواجب الطاعات .

والتطوع هو الشراب من بحر القربات .

وقد ذكرت لكم الحديث القدسى (ما زال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ..) .

رسول الله ﷺ يحب لنا أن نكتال بالمكيال الأوفى والطهور المدار كالذين قال الله فى حقِّهم ﴿ **وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾ .

فالسنَّة والنوافل رحمة إلٰهيَّة لأهلِ القلوب والنفوس الزكيَّة وكَرم من المولى لأهل الإحسان ليزيد الله الذين آمنوا واهتدوا هدى ويرفعهم بها درجات .

وفى الحديث القدسى :

(إذا تقرب العبد إلى شِبْراً تقرَّبتُ إليه ذِراعاً وإذا تقرَّب إلى ذِراعاً تقرَّبت إليه باعاً وإذا أتاَنِي يَمشِي أتيْتهُ هَرْولَةً وما زال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه وإذا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سمْعَهُ الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويَدهُ التى يَبطِشُ بها ورِجْله التى يمشى عليها حتى يكون عبداً ربأَّنِيّاً) .

فالفرائض سير وسلوك والسُنَنُ والنوافل مُوصِلات للقربَات وباب للعطاء والشكر ومَعارِج لأهل الإيمان ومشاهِد لأهل الأحسان (أن تعبد الله كأنك تراهُ) .

ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **هم درجات عند الله** ﴾ (آل عمران : ١٦٣) .

وكل ركن من أركان الإسلام له سنن ونوافل :

(١) **شهادة التوحيد** نَافِلتُها الذكر يقول سبحانه وتعالى ﴿ **والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً** ﴾ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا**

اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ .

ولا يكتمل ذِكْرك إلاَّ بالصلاة على النبى ﷺ امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى

﴿ إنَّ الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .

وفى الحديث يقول رسولنا الكريم ﷺ « **من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه عشراً ومن صلى عليَّ عشراً صلى الله عليه مائة** »

(٢) **الصلاة** ونافلتها السنن وقيام الليل ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ .

وعن جابر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إنَّ فى الليل ساعة لا يوافقها رجل يسأل الله عز وجل فيها خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ذلك كل ليلة** » .

(٣) **الزكاة** ونافلتها الصدقات

يقول سبحانه وتعالى **﴿ إنَّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾** .

ويقول الرسول ﷺ « **ما نقص مالٌ من صدقة** » أى أن الله يعوضك بالبركة فى المال لقاء ما أنفقت ــ يقول سبحانه وتعالى : **﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ﴾** .

(٤) **الصيام** ونافلته التطوع **﴿ فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾** وهذا ما سوف نتكلم عنه فى هذا الباب .

(٥) **الحج** ونافلته العمرة . يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾ .

ويحببنا رسول الله فى التطوع بالعمرة فى شهر رمضان « **عمرة فى رمضان تعدِلُ حجَّةً** » وفى قول آخر « **تَعْدِلُ حجَّة مَعِى** » متفق عليه .

وهكذا يفتح لنا الرسول باب الفضل والعطاء المنهمر كالغيث بغير حساب .

التطوع بالصيام

يقول الرسول ﷺ ﴿ **كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** ﴾ والتوبة تكون باللسان مع عقد النية أو بالطاعات التى سنَّها وشرَعَها لنا رسول الله ﷺ فإنه يُرِيد عليه صلوات الله أن يُباهى بنا الأمم يوم القيامة بل يريد أن يباهى بنا الملائكة الذين قالوا لربهم سبحانه وتعالى : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ .

يريد منا رسول الله أن نبعث يوم القيامة فى مواكب النور ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم** ﴾ تَغْبِطُناَ الملائكة والنبيون والشهداء ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ والرسول ﷺ يعلم أن الله يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة ويريد أن نَكْتال بالمكيال الأوفى .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ وأن يكون التطوع فى العبادات مَاحِياً للسيئات والخطايا حتى يبدِّل سبحانه وتعالى سيئاتنا بالحسنات من فضله ورحمته .

وما كان التطوع بالصيام عقاباً أو زيادة فى المشقة وإنما زكاة للروح وتهذيباً للنفس الأمَّارةَ بالسوء والرسول ﷺ يقول « **لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم** » .

فى هذا المقام ليس أمامى إلا أن أنقل لكم بعض أحاديث رسول الله ﷺ وسنَّته الشريفة فى التطوع لتختار منها ما تطيق فإنَّ الله لا يحب المتكلفين فى العبادات وعليك أن تحجب صيامك فى التطوع بقدر الإمكان عن عامة الناس

حتى تبتعد عن شُبهات الرِّياء والسُّمعة ممن لا يحسنون الظن بالله والرسول ﷺ دعا ربه فقال « **اللهم إنى أسألك حِجَّة بالغةً لا سُمعَةَ فيها ولا رياء** » .

إذا استعرضنا سنة رسول الله ﷺ فى صيام التطوع يمكن تقسيمها على ثلاثة وجوه :

(١) أيام حددها بذاتها .

(٢) أيام تركها مرسلة .

(٣) أيام إخْتَصَّ بها ﷺ وكشف عن بعضها فمن شاء اقتدى .

أولاً : الأيام المحددة :

يقول ﷺ « **ان لربكم فى أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لنفحات الله عسى أن يصيبكم منها نفحة لن تشقوا بعدها أبداً** » .

هناك أيام مباركة العمَل فيها مضاعف يعطى فيها من فضله بالمكيال الأوفى ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **هل جزاء الاحسان إلا الإحسان فبأى آلاء ربَكّمُا تكذبان** ﴾ .

(١) يوم عاشوراء :

وهو اليوم العاشر من شهر المحرم .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ « **صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً** » وفى رواية أخرى « **لئن عشت للقابل لأصومن التاسع والعاشر** » .

وفى رواية أخرى هذا يوم نجَّى الله فيه موسى ونحن أولى بموسى من اليهود .

وقد سُئِل الرسول ﷺ عن صيام يوم عاشوراء فقال « **يكفِّر السنة الماضية** » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه . وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « **لئن عشت إلى قابل لأصُومَنَّ التاسع والعاشر** » .

وعن ابن عباس قال (ما علمنا رسول الله ﷺ صام يوماً يطلب فضله على الأيام مثل هذا اليوم) وكان الرسول والمسلمون الأوائل يصومونه فى مكة قبل أن يفرض الصيام فى شهر رمضان .

(٢) صيام ليلة النصف من شعبان :

عن رسول الله ﷺ قال « **إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فإن الله تبارك وتعالى يتنزل فيها إلى السماء الدنيا ويقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلى فأعافيه ألا كذا حتى يطلع الفجر** » .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« **إذا كانت ليلة النصف من شعبان فُتِحت أبواب السموات السَّبع ووقف على كل باب ملائكة يستغفرون للمسلمين فيغفر لكل مسلم إلا من كان مُصِرًّاً على كبيرة** » وفى رواية أخرى « **يغفر فى هذه الليلة للمؤمنين إلا لمُدِمْنِ خمراً ومُصِر على الزنا أو عاق لوالديه** » .

- يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنَّا كنا منذرين فيها يفرق كُلُّ أمر حكيم أمراً من عندنا إنَّا كنا مرسلين رحمة من ربك إنَّه هو السميع العليم** ﴾ .

(٣) صيام ست من شوال :

يقول رسول الله ﷺ :

« **من صام رمضان وأتْبعَه بستٍّ من شوال خرج عن ذنوبه كيوم ولَدَتْه أمه** » .

وعن أبى أيوب أن رسول الله ﷺ قال « **من صام رمضان ثم أتبعه بستٍّ من شوال كان كصائم الدهر** » . (رواه مسلم) .

رمضان ثلاثون يوماً وست من شوال بذلك تصوم ستة وثلاثون يوماً فإذا أضفت كرم الله الحسنة بعشر أمثالها فذلك ثواب صيام العام كله .

(٤) صيام عرفه :

عن أبى قتادة قال سمعت رسول الله ﷺ عن صوم عرفة قال :

« **يكفّر السنة الماضية والباقية** »

وفى رواية أخرى « **من صام يوم عرفة غفر الله ذنب سنتين متتابعتين** » والله يختص برحمته من يشاء .

ثانياً : أيام مرسلة لك أن تختار منها ما تشاء :

(١) عن معاذة العدوية قالت إنها سألت السيدة عائشة رضى الله عنها : أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام فقالت : نعم فسألتها عن أى أيام الشهر قالت السيدة عائشة : لم يكن يُبالِى من أى أيام الشهر يصوم .

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (أوصانى خليلى ﷺ بثلاث) :

(صيام ثلاثة أيام من كل شَهرْ وركعتى الضُّحى وأن أُوتِر قبل أن أنام) .

(٣) عن ميمونة بنت سعد رضى الله عنها قالت : يا رسول الله أفْتِناَ عن الصوم قال ﷺ :

« **من كل شهر ثلاثة أيام من استطاع أن يصومهن فإن كل يوم يكفر عشر سيئات وينقّى من الإثم كمَا ينقّى الماءُ الثَّوبَ** » .

وفى رواية أخرى تفضيل صيام الأيام البيض عندما يكون القمر بدراً أى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر .

(٤) وعن السيدة عائشة (كان رسول الله ﷺ يتحَرّى صوم الأثنين والخميس) وعن الامام أحمد أن النبى ﷺ قال عن حكمة صيام الأثنين والخميس (تعرض الأعمال كل اثنين وخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم).

(٥) وعن رسول الله ﷺ فى رواية أبى داود قال (صُمْ من الأشهر الحُرُمُ واترك).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أى الصيام أفضل بعد رمضان قال: «**شهر الله المحرم**».

ثالثاً: أيام اختص بها النبى ﷺ ولمن استطاع أن يقتدى به فإن الله شاكر عليم:

(١) صام ﷺ شهر شعبان. فعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: (إن رسول الله كان يصوم شعبان كلّه) وقال ﷺ ذلك شهر بين رجب ورمضان يَغْفل الناس عنه.

(٢) كان ﷺ يصوم العَشْر الأوائل من ذى الحجة التى ورد فضلها فى القرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى: ﴿**والفجر وليالٍ عشر والشفع والوتر**﴾.

وعن عائشة المؤمنين قالت (أربع لم يكن يَدعَهُن رسول الله ﷺ صيام عاشوراء والعشر وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغَداَة).

إن رسول الله ﷺ لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وشرحها لنا وأظهر لنا فضلها إنه يريد ﷺ أن يُباهى بِناَ الأممَ يوم القيامة.

عن الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن أتمها كُتِبْت له تامة وإن لم يكن أتمّها قال الله لملائكته انْظروا هل تَجِدُون لعبدى من تطوع فتكملون به فريضته.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان ومن كان فى النقصان فالموت خير له** » .

ويشير الإمام النقشبندى إلى هذا الحديث فيقول لهذا لم يترك سيد الخلق الاستغفار والعبادة حتى تورَّمت قدماه وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لذلك يجيب الرسول ﷺ بكل الأدب مع ربه فيقول « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » .

خاتمة التطوع :

مما ذكرناه لك أن تدرك فضل التطوع فى العبادات والنوافل وقد قال علماء الصوفية فى التطوع إنه موت للنفس الشهوانية وطرد للشيطان الذى قال لربنا عز وجل (لأَقْعُدَنَّ لهم صِراَطَكَ المستقيم) فتصعق بذلك إبليس اللعين الذى يتربص بك الدوائر إنَّ هؤلاء الذين صفت قلوبهم ما ابتدعُوا شيئاً ولكنهم عَلِمُوا حديث رسول الله ﷺ « **موتوا قبل أن تموتوا** » وقال النقشبندى : لا يدخل أحدكم على الله إلا من بابين : أحدهما : الموتُ الأكبر يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ وثانيهما : الموت الحِسِّى مَوتُ النفس الشيطانية وقال فى ذلك التسترى :

إن تُرِد وصْلَناَ فموتُك شرطٌ إذ تنال الوصال من كنز فضله

ويزيِّن لك رسول الله ﷺ بشرى التطوع فى حديثه الشريف فيقول :

« **صيام المرء يوماً فى سبيل الله يُبْعُدِهُ عن جهنم مسيَرة سبعين عاماً** » .

وفى رواية أخرى « **من صام لله تعالى يوماً أبعده الله عن النار سبعين خريفاً** » .

صيام النذر والشكر

النَّذْرُ هو عقد بالنية بين العبد وربه أَوْجَبْتُه على نَفْسِك تَطَوُّعاً صياماً أو صدقة أو غير ذلك .

والإسلام يوجب عليك الوفاء بالعهد ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾ وقد مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يوفون بالنذر ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً** ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً** ﴾ .

وقد جاءت آيات فى القرآن الكريم تشير إلى النذر فى أكثر من موضع .

قالت امرأة عمران أم السَيدة مريم عليها السلام (رب نذرت لك ما فى بطنى محرراً) .

وقد قالت السيدة مريم لقومها عندما خرجت تحمل عيسى عليه السلام :

﴿ **إنِّى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً** ﴾ .

وسنتحدث عن ذلك فى باب صيام الأنبياء ..

وقد جاء فى الكتاب الكريم فى سورة الإنسان قول الله عز وجل :

﴿ **يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾ .

وقد نزلت هذه الآيات المباركات فى حق الإمام على كرم الله وجْهه وسيدة نساء أهل الجنة السيدة فاطمة الزهراء .

وكان جزاؤهم من عطاء الله العظيم قوله سبحانه وتعالى :

﴿ **وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً** ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمى سلسبيلا** ﴾ .

وقصة ذلك أن سيدنا الحسن والحسين رضى الله عنهما أصابهما مرض فى طفولتهما فنذر والداهما الإمام على والسيدة فاطمة صيام ثلاثة أيام لله تعالى تَقَرُّباً لله ليُنعِمَ عليهما بالشفاء وقد أكرمهما الله بالشفاء فوفيًّا بالنذر وصاما اليوم الأول وما أن حان وقت الإفطار إلا وجاءهم مسكين فأعطياه الطعام وواصلا الصوم واكتفيا بشربة ماء . وفى اليوم الثانى جاء يتيم وحدث نفس الشىء وفى اليوم الثالث جاءهم أسير فأعطياه الطعام . وقد نَالَ مِنْهمُا الجُوع والجهد كل مأخذ فأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله بأمرهما فهرول إليهما يبشرهما بقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ **وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً** ﴾

وقد ذمَّ الله سبحانه وتعالى الذين لا يوفون بالنذر وسماهم المنافقين وأنذرهم بالعذاب الشديد يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون** ﴾ .

ونذر الصيام هو من أسمى العبادات تقرباً لله فيه فرعان من شجرة الإيمان (الصبر والشكر) وقد وعد الله بالعطاء فى كل منهما .

الصبر : وهو فى الصيام يقول سبحانه وتعالى ﴿ **إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

الشكر : يقول سبحانه وتعالى ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ .

والنذر بالصيام لا يكون إلا طلباً لرضاء الله سبحانه وتعالى فى طلب الخير فإن استجاب الله لك كان فضلاً وكرماً منه سبحانه وتعالى وإن تأخرت الإجابة فعليك أن توفّى بالنذر والله سبحانه وتعالى وعدك إما أن يعطيك خيراً مما طلبت أو يؤخر لك الجزاء إلى يوم القيامة .

والنذر يكون بالنية والنية محلها القلب ..

يقول الرسول ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى** » .

ومن آدب الإيمان ألا تشترط على الله فتكون كالعبد الأجير إن أعطى شكر وإن منع هجر وقد علمّنا سيدنا رسول الله ﷺ الأدب مع الله فقال :

« **لا تنذروا على أنكم تُدْرِكون بالنذر شيئاً لم يُقدِّره الله لكم أو يصْرِفَ عنكم ما جَرى به القضاء عليكم** » .

ويقول ﷺ :

« **من نذر أن يطيعَ الله فلْيطعه ومن نذر أن يعصَىَ الله فلا يعصه** » .

الفصل الرابع

الصيام وحديث رسول الله

- أحاديث جامعة .
- صوموا تصحوا .
- ليس له عدل أو مثل .
- الصيام وغفران الذنوب .
- فضل الصوم وشهر رمضان .
- الصوم عبادة وأمانة .
- الصيام والدعاء .
- الصيام والصبر .
- ليلة القدر .
- إياكم أن تضيعوا رمضان .

الصيام وحديث رسول الله

كلامه ﷺ شِفاَء لِقُلوب العَابِدين ، وطَهورٌ لأرواح العاشقين ، ونور لخلق الله أجمعين وأمر من رب العالمين .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

* القرآن المبين معجزة الله العظمى للعالمين فى الدنيا والآخرة فهو فى الدنيا الميزان والحُجَّة وفى الآخرة الحساب والمَحَجَّة . هو لغة أهل الجنة ولغة الملائكة يخاطبون بها المؤمنين فى الجنة والكافرين فى النار ..

يقولون للمؤمنين ﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ .

ويقولون للكافرين ﴿ **ألم يأتكم رسُل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ .

معجزات الأنبياء كلها الزمنية انقضت ورفعت وتبقى معجزة القرآن خالدة سرمدية ..

المعجزاتُ لها زمان تَنْقَضى فأراكَ مُعْجِزةَ لكلِّ زمان
إن الرَّبيع له أوان واحدٌ وَرَبيعُك البسَّام كلّ أوان

أعطى الله سبحانه وتعالى إبراهيم الخليل خمس آيات معجزات ، وموسى تسع آيات . وعيسى عليه السلام بعض آيات . وأعطى رسول الله ﷺ القرآن المجيد وفيه ما يربو عن ستة آلاف آية كل آية فيها معجزة ..

دعا رسول الله ﷺ ربه وقال : « **وقل ربِّ زدنى علماً** » فعلَّمه سبحانه وتعالى علوم القرآن ظاهرِه وبَاطِنِه وعلوم الكلام واللغة وتَصْرِيفَها وهو النبى الأُمِّىّ حتى تكون حجَّة الله بالغة يقول الرسول ﷺ : « **أدَّبنى ربِّى فأحسن تأديبى** » أى علمنى .

رسول الله ﷺ مُعَلِّم البشرية وأستاذ الكوْن وعوالِم الإنْس والجِن فكانت أَحادِيثُه الشريفة آية من نور الله تَحَدَّى بِهاَ العرب وهم أهل المقامات المشهودة والفصاحة والبيان وتَعَدُّد اللهجاَت فأقام الحُجَّة على حُكَمائِهم وشُيوخهم ..

قَهَر العَرب فكان أفصَحهم فى أسلوب مُحْكم رائع ولا غَرْوْ فحديثه ﷺ من إلهامات النبوة فيه سَداد العَقلِ والحكمة والصدق ..

يقول ﷺ : « **أُوتِيتُ جَوامِع الكَلِمْ وأُخْتِصرَ الحَدِيث لِىَ اخْتصَاراً** » .

يقول الجَاحِظ عن حديث رسول الله ﷺ :

« **هو الكلام الذى قَلَّ عَددُ حُروفه وكَثُرتْ معانيه منزَّه عن الصَّنْعَة والتكلُّف فلم يتكلَّم إلا بِكَلام حُفَّ بالِعصْمَة وشُدَّ بالتأيِيد والتوفيق أَلقَى الله عليه وَغشَّاه بالقبُول وجَمَع له الحلاوة والمهَابَة** » ..

فما بارتْ له حُجَّة أو زَلَّت لهُ قدم وكان لا يسكِت الخِصْم إلاَّ بما يعرفه الخِصْم ولا يَحتج إلاَّ بالصدق ولا يهْمِز ولا يلْمِز ولم يَسمَع الناس بكلام أعم نفعْاً وأصدق لفظاً وأعدل وزناً وأجملَ مذْهباً إلا كلام رسول الله ﷺ ..

وما حَظِىَ به النبى كان توفيقاً وإلهَاماً من الله ولا نَقْضِى فيه بالظَّن فقد علَّمَه الله مالم يعلم . وليس فى العرب قاطبة ولا المستعربين إلى أن تقوم الساعة من جَمَعَ الله له هذه الصفات والخَالِصُ مِنْها سِوى النبى ﷺ الذى اصْطَفاه لِوحيه وأَقَامه لِبيَانه لِيُظْهِرهُ على الدِّين كلِّه فاختاره لرسالته ..

وأفضل من كلام الجاحظ الذى أحسن التصوير قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحى يوحى** ﴾ فكلام رسول الله ﷺ له

أجْنِحة يطيَر بها إلى العقول فتُزِيل عنها الغِشاَوة ونُور يُقْذَفُ فى القلوب فَيُوقِظُها من غَفْلِتَها وسِرٌ من أَسرار الله لا يُحِيط به إلا العليم الحكيم ..

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ .

فأحاديث رسول الله ﷺ هى الحكمة المصفَّاة وطَهُور الكلام أقوالٌ مُحْكَمة يفهمها الأُمِّى والمتعلَم ، يفهمها المسلم أو أهل الإيمان أو الاحسان أو أهل اليقين كلٌّ على قَدْر عُلُو همته أو تقواه فكلامه ﷺ كأنه التنَّزِيل بعد التنَّزِيل فقد ارتْوَى ﷺ من كُنُوز العلوم الربَّانية وخزائن الرحمن الإلٰهِيَّة .

* يقول الرسول ﷺ « **ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه** » أى مثله من العلوم ..

ويقول : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا بعدى أبداً . كتاب الله . وسنتى** » .

وسنته ﷺ هى أعماله وأقواله ..

وقد كشف الله لرسوله بنور الغيب عن أقوام يأتون من بعده يعارضون بعض أحاديثه أو لا يأخذون ببعضها من أهل الجَدَل والفرق ادعت لنفسها علوم الكلام ..

فقال ﷺ محذراً لهؤلاء :

« لا ألْفِينَّ أحدَكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدرى بينى وبينكم كتاب الله فما وجدناه فى كتاب الله اتبعناه . » .

وفى رواية أخرى : فيقول أحدكم : بينى وبينكم كتاب الله فما وجدناه فيه حللناه ومالا نجده حرَّمناه والذى نفسى بِيَدِه إن ما حرَّم رسول الله كما حرم الله

عز وجل ..

إن هؤلاء يحق قول الله فيهم ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ .

فإذا كانت آيات الصيام قليلة فى القرآن المبين ومحكمة فقد قام رسول الله بالكشف عن أسرار الصيام وأنواره وفضله فى الأحاديث الشريفة حتى تكُونَ أكثر محبَّة للصيام فَتقبْل عليه إقْبالَ العاشقين وتتعبَّد به عباده المتقين ..

لقد بين رسول الله ﷺ آيات الصيام ..

﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ (النحل : ٦٤) .

نشهد أنك يا رسول الله قد بينت ووعظت وتركتنا على الملة السمحاء والشريعة الغراء .

أدعوك يا أخى المسلم إلى روضه الأحاديث النبوية التى اخترت منها بعض ما يشرح الصدور ويضىء القلوب بإذن الله تعالى ..

أولاً : أحاديث جامعة

(١) قال رسول الله ﷺ : أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمس خصالٍ لم يُعْطَهُنَّ نبى قبلى :

الأولى : فأنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذِّبه أبداً .

الثانية : فإن خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح السمك .

الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة .

الرابعة : فإن الله يأمر الجنة فيقول لها استعدى وتزيَّنى لعبادى أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى .

الخامسة : فإذا كان آخر ليلة من رمضان غفر الله لهم جميعاً .

فقال رجل أهى ليلة القدر يا رسول الله ؟ فقال ﷺ ألم تَرَ إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وفُّوا أجورهم .

نفحة الرحمن فى شهر رمضان

(٢) وما وجدت حديثاً جامعاً لخيرات شهر رمضان مثل هذا الحديث وما وجدت من المبشرات التى يضيىء بها الرسول ﷺ قلوب العابدين إلا وقد اشتمل عليها هذا الحديث وهى كلها لها ما يناظرها فى القرآن :

(٣) يقول ﷺ :

عن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان قال : « **أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر . شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً . من تقرب فيه بخصلة من الخير . كان كمن أدَّى فريضة فيما سواه . ومن أدَّى فريضة فيه . كان كمن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة . وشهر يزاد رزق المؤمن فيه . من فَطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه . وعتق رقبته من النار . وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يُفْطِر الصائم . قال رسول الله ﷺ : يعْطِي الله هذا الثواب من فَطَّر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذْقَةِ لبن وهو شهر أوله رحمة . وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له . وأعتقه من النار . فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم . وخصلتين لا غنى لكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضُون بهما ربكم . فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما . فتسألون الله الجنة وتَعُوذُون به من النار . ومن سقَى صائماً سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة .**

رواه ابن خزيمة فى صحيحه . ثم قال صح الخبر ورواه عن طريق البيهقى . ورواه أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب باختصار عنهما ..

سبعة عشر بشارة من الصادق الأمين فيها الخيرات كالغيث المنهمر فبشرى للصائمين وقد علقت عليها ببعض آيات القرآن الكريم ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ﴾ .

(١) فيه ليلة القدر : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ .

(٢) عمل الخير فيه ثوابه قدر ثواب الفريضة : من الفرائض التى شرعها الله .

(٣) **عمل فريضة فيه بسبعين فريضة مما سواه : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ .**

(٤) **صيامه يعطى ثواب الصابرين والصبر ثوابه الجنة : ﴿ وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾ .**

(٥) **شهر المواساة** : أى التراحم والمعية ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ .

(٦) **شهر الرزق : ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .**

(٧) **إفطار صائم** : سواء كان مسكيناً أو صديقاً ثوابه المغفرة .

(٨) **إفطار فقير فيه ثوابه كمن أعتق رقبة : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ .**

(٩) **إفطار صائم فيه يكتب الله لك مثل أجره** : ولو كان ما قدمته لهذا الصائم تمرة أو شربة ماء أو شربة لبن ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ .

(١٠) **أوله رحمة : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ .**

(١١) **أوسطه مغفرة : ﴿ فأولئك يبدِّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .**

(١٢) **آخره عتق من النار : ﴿ وكنتم على شَفَا حُفْرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .**

(١٣) **ذكر الله فيه يرضى الرب : ﴿ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ .**

(١٤) **الاستغفار فيه يضاعف الأجر : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ .**

(١٥) سؤال الجنة : ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ .

(١٦) التعوذ من النار : ﴿يأيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ .

(١٧) من سقى صائماً سقاه الله من حوضه يوم القيامة شربة لا يظمأ بعدها أبداً : ﴿**وسقاهم ربهم شراباً طهوراً**﴾ .

بشرى للصائمين بل مرحباً برمضان العظيم وهلاله المبين ..

لبيك ربنا سمعنا وأطعنا ﴿**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ .

(٣) قال رسول الله ﷺ للصحابى الجليل معاذ بن جبل :

ألا أدلك على أبواب الخير ؟ فقلت يا رسول الله نعم . فقال ﷺ : الصوم جُنَّة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا ﷺ قول الله سبحانه وتعالى :

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ .

(٤) صوموا تصحوا

منتهى البيان والإعجاز والبلاغة فى الأحاديث النبوية ..

حديث من كلمتين وقد وضعته فى باب الأحاديث الجامعة لما اشتمل عليه من معان متدفقه وعلوم وأسرار رائعة ..

* البعض فسَّروا الحديث : أن الصيام يصلح البدن وأفاضوا فى شرح النواحى الطبية التى تصلح الجسم بالجوع وهذا حسن لمخاطبة عامة المسلمين .

* أما أهل الإيمان الذين خاطبهم الله سبحانه وتعالى بندائه الكريم فى أول آية الصيام وناداهم من فوق سبع سموات والعرش الكريم وقال لهم ﴿**يأيها الذين**

آمنوا﴾ فنقول لهم :

إن الأبدان مآلها التراب . يقول سبحانه وتعالى :

﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ تعددت الأسباب والموت واحد . والصيام عبادة الروح والنفس والقلب وكما قال رسول الله ﷺ :

« لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم »

هو لقاء مع الله ورسوله على مائدة الرحمن فى شهر الرحمة والمغفرة وكما يفعل التجار فى آخر كل سنة مالية يراجعون حساباتهم ويَجْردُون بضاعتهم ويُعِدُّون ميزانية الأرباح والخسائر فأنت فى شهر رمضان تستعرض ذنوبك وأعمالك لتصطلح مع ربك **﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾** .

فى شهر رمضان تتاجر مع ربك ليزيد رصيدك فى بنك الحسنات ـــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾

أما قصة الأكل والطعام فقد حدث بها رسول الله فى أحاديث أخرى فقال ﷺ « **البِطْنَةُ بيْتُ الداء** » وقال « **ما ملأ ابن آدمَ وعاءً شرا من بطنه** » ويقول سبحانه وتعالى :

﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾

فالصيام هو لعلاج أمراض الجوارح الحسِّية والجسمانية وقد جاء ذكرها فى القرآن فى أكثر من موضع ـــ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ .

هذا فى الأمراض الحسية أما الشفاء ــ قال سبحانه وتعالى فى الشفاء ﴿ **وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ .

فالصيام يطَهِّر القلب من أمراضه الحسية ومنها النفاق والحقد والحسد والطمع ويطهِّر السمع والبصر واللسان من الغيبة والنميمة ولذلك قال رسول الله ﷺ :

« **خمسٌ يُفْطِرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الغموس والنظر بشهوة** » .

إن شفاء الأجسام يمكن أن تذهب إلى طبيب أو صيدلى حتى ممن هم ليسوا على دينك ..

أماَّ شفاء القلوب والنفوس وتزكيتها فعليك أن تذهب إلى طبيب الأرواح محمد رسول الله ﷺ .. صدقت يا رسول الله (صوموا تصحوا) .

ومعذرة فما وفيت شرح الحديث فالإعجاز فى الحديث يحتاج إعجازاً فى الشرح .

لَيسَ لهُ عَدْل أو مِثْل

يقول نبى الرحمة الذى أعطاه الله من كنوز علمه وفضله مالم يُؤْت أحداً من قبل عليه أكمل الصلوات وأتم التسليم فى الحديث الشريف :

« عليك بالصوم فإنه ليس له عَدْلٌ أو مِثْل »

الصيام الذى فرضه الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية فى شهر رمضان وبينه لنا النبى ﷺ لا يعدله شىء فى سائر العبادات التى فرضت على الأمم التى كانت قبلكم التى بدَّلت كلام الله وافترت على الله الكذب وهم يعلمون . لذلك قال رسول الله ﷺ فى الحديث الذى أوردناه فى باب الأحاديث الجامعة « **أعطيت أمتى خمس خصال (عطايا) لم يُعْطَهُن نبى قبلى** » أى فى رمضان .

الصيام الذى فرض عليكم أيها المؤمنون فقلتم ﴿ **سمعنا وأطعنا** ﴾ لا يعدِلْه شىء فى سائر العبادات والطّاعاَت لشرفه وقدره العظيم عند الله عز وجل .

الصيام ليس له مِثْل فى عطاء الله وثوابه الذى ادَّخره لكم يوم القيامه فأعدَّ لكم « الجائزة » من كنوز فضله ورحمته ومالا يخطر على قلب بشر .

صيام الأمة الإسلامية هو الصيام الأكمل يباهى الله عز وجل به ملائكته فى عالم الملكوت ، لذلك قال عنه الصادق الكريم سيدِّنا رسول الله ﷺ حتى تشتاقوا إليه وتنظروا بقلب العاشق الولهان :

« لو يعلم الناس ما فى هذا الشهر من الخيرات لتمنوا أن يكون رمضان السنة كلها » .

وفى رواية أخرى « **لتمنوا أن يكون الدهر كله رمضان** » .

وما كان هذا كلاماً يفترى ولكنه من عند الله العزيز الحكيم الذى لا تضيع عنده الودائع ، لذلك يروى رسول الله ﷺ عن رب العزة فى الحديث القدسى . .

الصوم لى وأنا أجزى به

ويقول الإمام عبد الوهاب الشعرانى فى شرح هذا الحديث القدسى (إن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد العام من رسول الله ﷺ لتكون مَحَبّتنا للصوم من حيث إن الله تعالى قال (الصوم لى) لا من حيث طلب الثواب ولكن من حيث إنه عمل خالص لله عز وجل فمن أدَّاه كفاه الله خير الدنيا والآخرة وأعطاه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال الشعرانى : لم يَبْلغْنا أن الله سبحانه وتعالى قال فى حق شىء من العبادات الأخرى أنها خالصة له إلا الصيام فهذه خصوصية انفرد بها شهر الصيام دون سواه من العبادات) . .

العبادات كلها ظَاهِرة تمتزج فيها الأعمال الجسمانية والمادية والروحية إلا الصوم فهو عبادة روحية خالصة لله . هو عبادة السر التى قال عنها رسول الله ﷺ « **عبادة السر تفضل عبادة العلانية سبعين ضعفاً** » .

وفى هذا المعنى يقول فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز : إن الله سبحانه وتعالى قال فى الصيام (لعلكم تتقون) ولم يقل لعلكم تصحُّون أو تألمون لأنه سبحانه وتعالى جعل الصيام اختباراً روحياً ووسيلة تَنال بها صفة التقوى .

ويقول ابن عجيبة رضى الله عنه فى كتابه أيقاظ الهمم فى شرح الحكم فى شرح الحديث (الصوم لى) هو صوم لمحبة ذات الله لذلك وصف الله الصائمين بقوله ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ .

ويتغنى الإمام محمد ماضى أبو العزائم فى إحدى مواجيده فى الصيام فيقول :

جدَّد الصوم لى شهودى وجُودِى صِرْت رمز الاتحاد فى كنز قدسى
صُم كما صَام من دَنَا فتدلَّى وأفْطِرَنْ فِطْرَه تَفُزْ بالأنس

وإشارات العارفين الذين وصلوا إلى مقام الصفاء والفناء فى حب الذات الإلٰهية وحب رسول الله ﷺ ليس من اليسير أن نَبسْطها بالشرح ، وعلى قدر علمى نرى أن الإمام رضى الله عنه يقول : إن الصيام جدَّد شهوده حتى غَشِيَته الأنوار القدسية فغاب بالصيام عن الصيام ذاته وعن أعماله كلها لأنه اقتدى برسول الله الذى رفعه الله إلى مقام قاب قوسين أو أدنى ففاز حتى ارتقى إلى مقام القرب والمحبة والأنس بالله سبحانه وتعالى ..

إن الصائمين الصادقين العاشقين لا يصومون طمعاً فى الثواب ولكن لأن الله صفَّى أرواحهم حتى جَانَستْ الملأ الأعلى فأصبحت أرواحهم ربَّانية كما جاء فى الحديث القدسى وهَمُّهُمْ النظر إلى نور وجهه الكريم جل وعلا ..

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ (الليل : ١٩ — ٢١) .

وفى الحديث القدسى يقول عز وجل (عبدى أطعنى أجعلك عبداً ربانياً) .

يوم القيامة يتفضل عليهم سبحانه وتعالى بالعطايا والمقامات مالم يخطر على قلب بشر ويقول لهم جلَّ وعلا هل رضيتم ؟ فيقولون : تباركت ربنا لقد رضينا فيقول لهم سبحانه وتعالى **﴿ ولدينا مزيد ﴾** فيتجلى عليهم سبحانه وتعالى بنور وجهه الكريم فيغشاهم الأنس بالله وتعمُّهم اللذة والسكر من غير كأس ومالا يمكن أن تجد له وصفاً .

إنما هى عبارات التشبيه والتقريب ولا أجد أحلى من كلامه عز وجل :

﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾

مرحى بشهر رمضان

مَرْحَى لك أيها الصائم ورسول الله ﷺ يقول لك « **إنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم ومن نظر الله إليه لا يعذّبه أبداً** » .

مَرْحَى لك بليلة القدر وفضلها وقدرها والذى أهداها الله سبحانه وتعالى لأمة محمد ﷺ فى شهر رمضان وصيامها وقيامها أعظم من عبادة ألف شهر وأيام الله سبحانه وتعالى قدْرهَا عند الله يختلف عن أيام الدنيا . يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تَعُدُّون** ﴾

وفى الحديث الذى نورده فى فضل الصوم وشهر رمضان « **أليس قد صام رمضان** » ؟ وبذلك سبق الصائم الشهيد فى الجنة .

ليس له عدل أو مثل

ولما كانت هذه شَذرَات ولَمحات عن قدر الصيام وعُلُوّ مقامه عن سائر العبادات فقد شدَّدَ الله سبحانه وتعالى آمراً بالحفاظ عليه حتى لا يفوتك شيء من رحمته وفضله .

الله سبحانه وتعالى قيد الطاعات بأعيان الأوقات وحتى لا يمنعك التسويف عن أدائها وسَّع سبحانه وتعالى لك الوقت فأنت تستطيع أن تؤدي صلاة الظهر إلى ما قبل وقت العصر وتؤدى صلاة العشاء إلى منتصف الليل وتستطيع أن تؤدى زكاة المال طوال السنة كلها .

أما الصيام فزمانه ومواقيته محكمة جاءت فى آيات الصيام فإن تعدَّيتها خسِرْت الدنيا والآخرة كذلك زكاة الفطر إن لم تُخْرِجها قبل عيد الفطر فإن صيامَك لا يُرفع .

الله سبحانه وتعالى أسقط الحج والزكاة على غير القادرين وأسقط الصلاة والطواف فى الحج عن المرأة الحائض وليس عليها قضاء إلا الصيام .

قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن ذلك قالت :

(كان يصيبنا ذلك مع رسول الله فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة) وذلك حتى تأخذ المرأة بنصيبها من الفضل .

وقد اعتبره رسول الله ﷺ دَيْناً « **من مات وعليه صيام صام عنه وليه** » أى من أفطر فى رمضان برخصة شرعية ومات قبل أن يقضى حق الصوم قام وليه بالصيام بدلاً عنه وهذا منتهى الرحمة لإيصال الثواب من الأحياء إلى الأموات الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة ليصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **رحماء بينهم** ﴾ ..

وحكمة هذا التشديد هو الرحمة العامة لخلقه ، لأن الله سبحانه وتعالى يأخذ بالعدل من حسناتك ويعطيها لأصحاب الحقوق عليك حتى إذا أفلْست ولم يبق فى حسناتك شيء ادخر لك سبحانه وتعالى ثواب الصيام من فضله سبحانه وتعالى . فإذا كان العدل كاد أن يهلكك فإن الفضل ينقذك لأن الله سبحانه وتعالى قال ﴿ **الصوم لى** ﴾ لا تبديل لكلمات الله .

الصوم لى

جعل الله سبحانه وتعالى عن كل تقصير فى العبادات كفارة أو قضاء أى تؤدى حقها بعد وقْتِها وجعل الصيام كفارة لبعض الذنوب وكبائرها مثل القتل الخطأ إلا الصيام ..

الله سبحانه وتعالى يقول لك ﴿ **الصوم لى** ﴾ وأنت تجاهر بمعصيته وتهرب من رحمته . لذلك كان غضب الله سبحانه وتعالى شديداً على هؤلاء الذين يُفرِّطون فى نعمة الصيام ويلقون به وراء ظهورهم بعد أن يسر الله لهم الرخصة فى المرض والسفر . لهم خزى فى الدنيا وعذاب شديد فى الآخرة .

يقول الرسول ﷺ : « **من أفطر يوماً فى رمضان عن عمد من غير رخصة أو مرض لن يقْضيه صِيام الدهر كله وإن صامه** » ذلك لأن الصيام كما قال الرسول ﷺ : « **ليس له عدْل أو مثْل** » فلا شيء يغْسِله أو يكفِّره ..

وعن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم أتانى رجلان فأتيا بى جبلاً وعْراً فقالا اصعد فقلت : إنى لا أطيقه فقالا : إنا سنسهله لك . فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل (وسطه) إذا بأصوات شديدة فقلت ما هذه الأصوات ؟ قالا : هذا عواء أهل النار ثم انطلقا بى فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة وأشداقهم تسيل دماً قلت : من هؤلاء؟ قالا : الذين يُفْطرون قبل تحله صومهم ـــ أى الذين (يجترئون بالإفطار نهار رمضان) .

أرأيت يا أخى كيف وعَظَ ونصحَ رسول الله ﷺ وما فرَّط فى شيء . إن كل شيء من الذنوب له كفارة إلا الصوم لأن المفطرين يجاهرون بالمعصية فنسوُا الله فأنساهم أنفسهم ﴿ **فحق وعيد** ﴾ (ق : ١٤) . لأن أبصارهم عميت وآذانهم صمت عن نعمة الله ..

* اللهم احفظنا واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ونسألك يا مولانا بدعاء القرآن وشفاء الصدور ..

﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسْلمة لك وأرنا مناسكنا** ﴾ . الآية .

ثانياً : الصيام وغفران الذنوب

(١) يقول رسول الله ﷺ :

إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسَنَنْتُ لكم قيامه فمن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

(٢) من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه .

(٣) من صام رمضان وعرف حدوده أزال الله ذنوب ما اقترفها الصائم قبل صومه .

(٤) شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

(٥) الصيام جُنَّة (وقاية من النار والذنوب) وهو حصن من حصون المؤمن وكل عمل لصاحبه إلا الصيام ــ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الصيام لى وأنا اجزى به** ﴾ .

(٦) الصيام جُنَّة من النار فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ وان إمرءٌ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبُّه وليقل إنى صائم .

(٧) الصيام والقرآن يشْفعَان للعبدِ يقول الصيام : أى ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان .

(٨) الصيام جنة حصينة من النار .

(٩) الصيام جنة يَسْتَجِن بها العبد من النار .

(١٠) ان الله يباعد بين الصائمين وبين النار . قال رسول الله ﷺ :

ما من عبد يصوم يوماً فى سبيل الله إلا وباعد الله بذلك اليوم بينه وبين النار سبعين خريفاً .

(١١) وقال ﷺ : ان الرجل ليضع طعامه فما يرفع حتى يغفر الله له (أى عند افطاره) .

(١٢) قال رسول الله ﷺ عن رب العزة :

إذا كان عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق تنادى : أغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب على الجزيل . لقد أمركم الصيام بالنهار فصمتم وقيام الليل فقمتم وأطعتم ربكم فأقبضوا جوائزكم ..

فإذا صلُّوا نادى منادٍ الا إنَّ ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رِحَالكم فهو يوم الجائزة وسمِّىَ ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة ـــ رواه الطبرانى ـــ

(١٣) كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به .

(١٤) ان ربكم جل جلاله يقول لكم كل حسنة يعملها ابن آدم يضاعف له منها من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ثم تلا قول الله سبحانه وتعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) .

(١٥) (للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) أخرجه الشيخان .

ويقول الله سبحانه وتعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

ثالثاً : فضل الصوم وشهر رمضان

قال رسول الله ﷺ :

(١) إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين (سلسلت) رواه البخارى وزاد عليه الترمذى (ونادى منادٍ يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر) .

(٢) من منعه الصيام عن طعام يشتهيه كان حقًّا على الله أن يطعمه من طعام الجنة .

(٣) للجنة باب يقال له باب الريَّان لا يدخله إلا الصائمون .

(٤) إن فى الجنة باباً يقال له باب الريان يدْخُل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدٌ غيرهم ويقال : أين الصائمون فيدخلون فإذا دخَل آخرهم أُغْلِقَ فلم يدخل منه أحدٌ غيرهم .

(٥) إن فى الجنة غرفاً يُرىَ ظاهرها من باطِنها وباطنها من ظَاهِرها . قالوا لمن هذه الغرف يا رسول الله ؟ فقال لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام .

(٦) أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويَحُطُّ الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ـــ ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهى بكم الملائكة فَأروا الله من أنفسكم خيراً ـــ الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل .

(٧) ينادى الحق سبحانه وتعالى ملائكته ويقول لهم : ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فيقولون إلٰهنا ـــ جزاؤه أن يوفى أجره . فيقول سبحانه وتعالى : أُشْهِدكم يا ملائكتى أنى جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى

فوعزتى لا يسألون اليوم فى جمعكم هذا لآخرتهم إلا أعطيتهم ولا لدنياهم إلاَّ نظرتُ إليهم وقد أرضونى فَرضَيت عليهم ــ انصرفوا مغفوراً لكم .

(٨) إذا أفطر الصائم صلَّت عليه الملائكة حتىَّ يَفرُغ .

(٩) كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله .

يقول الله : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يَدَعُ شهوته وطعامه من أجلى . للصائم فرحتان فرحة عند فِطْره وفرحة عند لقاء ربه ولَخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

(١٠) قال رسول الله ﷺ يا عائشة داومى قرع باب الجنة قالت كيف يا رسول الله قال : بالجوع أى بالصوم .

(١١) إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع .

(١٢) قال رسول الله ﷺ « **أليس قد صام رمضان وصلى ستة آلاف ركعة ؟** » .

والمناسبة التى قال فيها ﷺ الحديث أن رجلين أسلما استُشهد أحدهما ومات الآخر بعده بسنة فرأى طلحة فى منامه أن الرجل الأخير سبق الأول الذى استُشهد فى الجنة فقص الرؤيا على رسول الله حيث عجب أن يسبق الرجل الثانى الشهيد فى الجنة فقال له الرسول ﷺ لا تعجب يا طلحة ألم يصم الرجل الثانى شهر رمضان فبذلك سبق صاحبك فى الجنة .

أرأيت يا أخى فضل شهر الصيام .. ؟!!

(١٣) قال رسول الله ﷺ :

« **عُمْرة فى رمضان تعدل حجة معى** » .

تعاليت يا ربنا عظمة العطاء لمن اعتمر فى رمضان كأنه أدَّى حِجَّة مع رسول الله ﷺ فيكون له فيها مغفرة العُمْر وصحبة رسول الله . ولا تعجب فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾

رابعاً : الصوم عبادة وأمانة

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما : عن رسول الله ﷺ قال :

(عُرى الإسلام وقواعده ثلاثة عليهم أسس الإسلام فمن ترك واحدة فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة والصيام) .

(٢) لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم .

(٣) لكل شيء باب وباب العبادة الصوم (رواه أبو الدرداء) .

(٤) الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ .

وعن أبى داود أنه لما تلا الرسول ﷺ هذا الحديث وضع يده الشريفة على سمعه وبصره. وقال : « **إن السمع والبصر أمانة** » .

(٥) نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور (عن أبى هريرة ورواه أبو الدرداء) .

(٦) صيام رمضان بعشرة أشهر . صيام ستة أيام من شوال بَعْدَهَ بشهرين وذلك صوم السنة .

(٧) عن رسول الله قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جُنَّة فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل : إنى صائم إنى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فَرِح بِفطرْه وإذا لَقِى ربَّه فرحَ بصومه .

وقد حبب رسول الله ﷺ إلينا التعجيل بالإفطار إقراراً منا بنعمة الله والإقبال عليه بالدعاء .

وحبب إلينا تأخير السحور لأنه الثلث الأخير من الليل فيه القيام والتَّهُجد .

قال ﷺ :

ما زال الناس بخير ما عجَّلوا الفِطْر وأخَّروا السحور .

(٨) قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : أحب عبادى إلى أعجلهم فطراً .

(٩) إننا معشر الأنبياء أُمرنا أن نُعَجِّل إفطارنا ونُؤخِّر سحورنا ونضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة .

(١٠) إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تَدَعُوه (السحور) .

وكان رسول الله ﷺ يفطر على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن ثم يدعو الله سبحانه وتعالى ثم يصلى المغرب .

خامساً : الصيام والدعاء

عن رسول الله ﷺ انه قال :

(١) إن للصائم عند فِطْرِه دعوة ما ترد .

(٢) عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم . الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتى لأنصرنَّك ولو بعد حين .

(٣) كان رسول الله ﷺ يقول عند فطره « **اللهم إنِّى لك صمت وعلى رزقك أفطرت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله** » وفى رواية أخرى كان رسول الله يقول : « **اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبّل منّا إنك أنت السَّمِيع العَلِيم** » .

(٤) يقول الرسول ﷺ لعائشة فى الدعاء : سَلِ الله العفو والعافية يا عائشة .

(٥) ويقول ﷺ : سَلُوا الله العَفْو والعافِية فإن أحداً لم يُعطْ بعد اليقين خيرٌ من العافية .

(٦) كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند أحد صحابته يدعو بالدعاء التالى :

« **أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلَّت عليكم الملائكة** » ما أعظم أدبك يا رسول الله .

سادساً : الصيام والصبر

عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(١) الصيام نصف الصبر .

(٢) الصبر نصف الإيمان .

(٣) رمضان شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ..

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

(٤) سبحان الله نصف الميزان والحمد لله تملؤه ، والله اكبر تملأ ما بين السماء والأرض ، والطهور نصف الإيمان والصوم نصف الصبر وقد سَمَّى رسول الله ﷺ رمضان بشهر الصبر ففى الحديث عن أبى هريرة : صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوْم الدَّهر ـــ رواه الإمام أحمد ـــ

(٥) (الإيمان نصفان : نصفه صبر ، ونصفه شكر) .

والصيام يجمع بين الفضيلتين .

سابعاً : ليلة القدر

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى ﷺ : إذا كانت ليلة القدر تنزَّلُ الملائكة الذين هم سكان سِدْرة المنتهى فيهم جبريل ومعه ألوية يُنصَبُ منها لواء على قبرى ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة إلا تُسلِّم عليه إلا مُدْمنَ خمر أو آكلَ خنزير أو المتضمِّخ بالزعفران .

(٢) عن أبى ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله أخبرنى عن ليلة القدر أهى فى رمضان أو فى غيره ؟

قال ﷺ : بل هى فى رمضان التمسوها فى العشر الأواخر التمسوها فى السبع الأواخر .

(٣) وفى رواية أخرى قال ﷺ عن ليلة القدر التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان التوسها فى كل وتر ..

(٤) وعن ابن حبيش قال يغفر الله لأبى عبد الرحمن ابن مسعود لقد علم أنها فى العشر الأواخر من رمضان . إنها ليلة السابع والعشرين والله أراد ألا يتكَّل الناس فيجتهدوا . ثم قال وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنَّ شمسها تطلع يومئذ لا شُعاَع لها .

(٥) وعن رسول الله ﷺ أنّه قال : من صلَّى صلاة المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر فى جماعة فقد أخذ حظَّه من ليلة القدر .

(٦) عن عائشة أم المؤمنين قالت سألت رسول الله ﷺ إن وافقت ليلة القدر فما أقول ؟ قال ﷺ قولى يا عائشة اللهم إنَّك عفُوٌّ تحب العفو فَاعفُ عنى .

(٧) من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه .

(٨) إن الشيطان لا يخرج فى هذه الليلة حتى يُضيء فَجرْها ولا يستطيع أن يُصيب فيها أحداً بخبل أو سوء من العشاء ولا ينفذ فيها سحر ساحر .

ثامناً : إياكم أن تُضَيعواُ رمضان

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(١) تعس من أدرك رمضان ولم يُغفْر له .. أى من لم يصمه أو من فرط فى أركانه وحرمته .

(٢) من لم تدركه الرحمة فى رمضان فلا رحمة له فهو شهر تُغفْر فيه الذنوب وتُحَطُّ فيه الخطايا وتضاعف الحسنات .

(٣) من لَم يدَع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يَترْك طَعاَمه . .

من اغتاب حرْمة صَوْمه فليرفعه بالاستغفار ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** ﴾ .

(٤) خمس يفطرن الصائم : الكذب ، والغيبة ، والنميمة واليمين الكاذب ، والنظر بشهوة .

(٥) (من لم يُبيِّت الصيام من الليل فلا صيام له) وذلك بالنية . باللسان أو القلب يقول : اللهم نويت الصيام .

(٦) حديث خطير تقشعر له الجلود والأبدان ..

قال رسول الله ﷺ :

من أفطر يوماً فى رمضان من غير رخصة أو مرض لم يقضه صيام الدهر كله وإن صامه ــ رواه الترمذى ــ

رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش .. (أى من صام ببطنه عن الطعام والشراب وأطلق العنان لجوارحه وشهواته الحسية) .

الفصل الخامس

صيام الأنبياء

- صيام نبى الله داود عليه السلام .
- صيام نبى الله موسى عليه السلام .
- صيام نبى الله زكريا عليه السلام .
- صيام السيدة الصديقه مريم عليها السلام .

مع رسول الله فى الصيام

- دلائل النبوة .
- رسول الله قبل الوحى .
- فى الغار قبل الوحى .
- الرسول يتعبد قبل بعثته .

مع الرسول فى رمضان

- صيام الذاكرين .
- الرسول زاهداً .
- الرسول فى رمضان .
- رمضان مائدة الرحمن .

صيام الأنبياء

الصيام حفظ السر عمّا سِوى الله وفرار من الكون إلى المكوِّن سبحانه وتعالى . فمن صام بقلبه سقاه الله شراب المحبَّة ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **وسقاهم ربهم شراباً طهورا** ﴾ ــ الإنسان ــ

وتشرق فى القلب أنوار القدس إذا انقطع عن شواغل الدنيا والخلق فاقترب من الحق فتغْشاه السكينه وَتحفُّهُ ملائكة الرحمة ويكون قريباً للملأ الأعلى ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **فأينما تولوا فثم وجهُ الله** ﴾

ويقول الإمام أبو العزائم فى هذا المقام :

أصوم وعنْ عِلمِى وكَشْفِي ومشهدى
لأنى بالله القريب صَفَا أُنسْيِ
أيا صَوْم تجمَّلت الحقائق كلها
أدَرْتَ لنا راحاً طَهُورا بلا كأس
تجلَّى الجميل الحق فى الصوم ظاهراً
ونَفْحُه قُدْس منه قد مَحَتْ حِسِّى
فَنِيتُ وعن نَفْسِى خَفِيتُ ومن أنا
فَلَم يبق إلاَّ الوجه والكوْن والأنس

لذلك كان الصيام أشرف عبادة تقرب بها الأنبياء والصديقون إلى الله سبحانه وتعالى فألقىَ عليهم السكينة وكساهم لباس التقوى ونصرهم نصراً عزيزاً ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ ـــ الفتح ـــ

وقد صام الأنبياء والرسل عن طريق الإلهام قبل بعثهم تزكية لنفوسهم وتطهيراً لقلوبهم فاستعدوا للمجاهدة وتحملوا الصبر والأذى لِتَلَقِّى الوَحْى ومشاهدة الملائكة ورسل الرحمن.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾.

ثم صاموا بعد ذلك إما بأمر الله تكليفاً أو تطوعاً وتقرباً إلى الله وحتى يكونوا فى مقام الشكر والصبر.

صيام داود عليه السلام:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **اعملوا آل داود شكراً** ﴾ وكان داود عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً وقال عنه نبينا ﷺ « **أفضل صيام هو صيام أخى داود وهو صيام الدهر كان يصوم يوماً ويفطر يوماً** » فكانت الجبال تسبح مع تسبيحه وهو صائم ـــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **يا جبال أوبى معه** ﴾ وقد ألآن له سبحانه وتعالى الحديد فكان يمسك بالحديد البارد دون أن يُدْخله فى النار ويشكِّله بيديه دُرُوعاً وجِفَاناً ـــ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وألنَّا له الحديد** ﴾. وفى مزامير داود نجده يتغنى بالصيام لقهر النفس فيقول « أذْلَلتُ بالصوم نفسى وأبكَيْتُ بالصوم نَفسى ».

صيام موسى عليه السلام:

عندما أَوْحىَ الله لسيدنا موسى عليه السلام ليقِفَ بين يَديْه بالوادى المقدس قال له سبحانه وتعالى: ﴿ **إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوىً وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى** ﴾.

ظاهر الآية يأمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يخلع نعليه قبل أن تمس قدماه الأرض المباركة.

والإشارة الروحية فيها أن الله سبحانه وتعالى يقول لموسى عليه السلام :

يا موسى تجرَّد من مظاهر الدنيا وشهواتها من لِبَاس وزينة وطعام وشراب فإنك ستقف على بِسَاط مَلِك الملوك أُسْمِعك كلامى بعد أن اصطفيتك لرسالتى فَقِفْ يا موسى بأدب العبودية لتكون أهلاً لتلقى عُلُومى وتَخْضع لسلطانى وبعد ذلك أُخِضْع لك كل شىء بأمرى فإننى أنا الله لا إله الله فاذكرنى بصفاتى وأسمائى التى سأعلمها لك حتى أفتح لك باب القرب فتسمع خِطابى من وراء حجابٍ بِأُذُنِ قلبك ..

فكان موسى عليه السلام فى هذا اللقاء الربانى صائماً عن كل شىء والله أعلم .

فى مثل هذا المقام يقول الإمام أبو العزائم :

جرَّد الصوم العناصر فاهتدت للشهود فأَسْمعَنِ لَذَّ الكلام
أشرق الوجه محيطاً بى أرى صَوْبَى الغَيْبُ بروض الاعتصام
جذَبَنِى جذْبَة الحب إلى خُطَوْة الأعلين فى حال الغرام

فى هذا اللقاء الربانى أعطى الله موسى عليه السلام تسع آيات وأيده بأخيه هارون شد به أزره وأرسله إلى فرعون ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾ .

وما آمن فرعون فأهلكه الله سبحانه وتعالى وجعله نكالاً فى الدنيا والآخرة وعِبْرةَ لكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب .

طلب موسى عليه السلام بعد ذلك من ربه أن يُسمِعَه كلامه وأن يُؤْتِيه الكتاب فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً حتى يكون أهلاً للنور الإلهى الذى سيشرق عليه مرة أخرى بالجانب الأيمن من الطور وبجوار الشجرة المباركة التى أضاءت واشتعلت بنور الرحمن فَظنهًا موسى فى أول الأمر ناراً . قال موسى لأهله ﴿ **إنى آنست ناراً** ﴾ .

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ﴾ .

صَدَع موسى لأمر ربه وصام ثلاثين يوماً وذهب إلى اللقاء الربانى المَهيب ليقف أمام جلال الحضرة الإلٰهية التى تتفتت لرهبتها وعظمتها الجبال الراسيات ولكنَّ موسى وجد أن رائحة فمه قد تغيَّرت من أثر الصيام الطويل فقطع فرعاً من الشجرة واستاك به ينظف بها فمه وأسنانه فقال سبحانه وتعالى له : يا موسى إن رائحة فم الصائم أطيب عندى من رائحة المسك يا موسى إن المرسلين لدينا ليس لهم تصريف إلا بأمرى يا موسى اذهب وصم عشرة أيام أخرى حتى تكون أهلاً للميقات يا موسى لقد تصرفت بظاهر علمك والمظاهر مآلها الفناء أما علومنا فهى من كنز البقاء السَّرمدى .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ .

يقول الرسول ﷺ الذى علمنا الأدب مع الله « **والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** » .

أمران يبعثهما الله سبحانه وتعالى برائحة المسك يوم القيامة : دم الشهيد ، وخلوف فم الصائم فبشرى للصائمين بعطاء الله سبحانه وتعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

صيام زكريا والسيدة مريم عليهما السلام :

عندما بشَّر الله سبحانه وتعالى زكريا عليه السلام بغلام وهو يحيى عليه السلام وكانت امرأته عاقراً وقد أدركه المشيب وانقطعت أسباب الإنجاب منه . فَدَعَا زكريا ربه أن يجعل له آية أى برهاناً لقومه ليؤمنوا أن هذا الغلام الوليد إنما هو ابنه جاء بقدرة الله وفضله الذى إذا أراد شيئاً إنما يقول له كُنْ فيكون :

قال سبحانه وتعالى :

﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألّا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ﴾
— مريم —

وعندما حَملَت الصديقة مريم العذراء بعيسى عليه السلام ووضُعته بشراً سوياً من غير أب واتهمها أهلها من بنى إسرائيل بالفحشاء أخذ منها الاضطراب والحيرة كلَّ مأُخذ حتى قالت **﴿ يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾** .

جعل الله سبحانه وتعالى لها آية وبرهاناً وحُجَّة على قَومهَا فقال لها سبحانه وتعالى :

﴿ فإما تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمٰن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ .

وقبل أن نتحدث بإذن الله تعالى عن الإشارات الروحية فى هذه الآيات وكيف يكون هنا الصيام آية وبرهاناً لتثبيت المعجزة فى كل من الأمرين نقول وبالله التوفيق :

أولاً : انسجام المعجزة فى الأمرين سوياً وإن اختلفت المظاهر فيحيى عليه السلام ولد لأبوين لا يمكن أن ينجبا فقد بلغت أُمُّه سِن اليأس عند النساء وبلغ أبوه من الكبر عِتِيًّا وكانت هذه المعجزة وهى فى طبيعتها مخالفة لقانون البشر وناموس الحياة تمهيداً لولادة عيسى عليه السلام الذى حملت به الصديقة العذراء مريم عليها السلام من غير أبٍ وبقدرة الله سبحانه وتعالى .

ثانياً : انسجام واتحاد الآية التى أمر بها الله سبحانه وتعالى كلاً من زكريا ومريم عليهما السلام أن يَخْرجا على قومهما يأمرهما بالصيام .

ثالثاً : استكمال الآيات الثلاث لله سبحانه وتعالى لإثبات قدرته فى خلق الإنسان ليكون له الحُجَّة على الإنس والجن سَوِياً .

* خلق آدم عليه السلام بغير أب أو أم من سُلالة من طين وإذا كان الطين هو المظهر والوعاء فآية الخلق هى نفخة القدس يقول سبحانه وتعالى ﴿ **فإذا سَوَّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾ .

* خلق حواء عليها السلام من أب بدون أم .

* خلق عيسى عليه السلام من أم من غير أب وكان الوعاء فى الظاهر بطن السيدة مريم ولكن آية الخلق هى نفخة القدس .

وكأن الله يقول لنا إذا كنت لم أُشْهِدْكم قدرتى فى عالم الغيب عندما خلقت أبويكم آدم وحواء فها أنا أشهدكم فى الحياة الدنيا خلق عيسى بغير الأسباب التى نظَّمتُ بها قانون البشر حتى تؤمنوا أننى أنا الله لا إله إلا أناَ خالق كل شيء ﴿ **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم** ﴾ .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً** ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ .

ولذلك يُثْبت لنا الحق أن الأسباب الظاهرة التى نظَّم بها الحياة الدنيا هى من أمره وحكمته وأنه سبحانه وتعالى هو المسبب وارادته مطلقة لا تَحُدُّها المظاهر وقادر بأمره أن يغير قانون البشر وقتما يشاء يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون** ﴾ .

آية الصيام وهذه المعجزة :

الأصل إذا تكلمنا بمنطق البشر أنه على قدر المعجزة التى يفاجيء بها الحق سبحانه وتعالى عباده والتى وقعت فى نفوس الكافرين موضع الشك والريبة

تكون قوة الآية والحجة التى يُثَبِّت بها الله سبحانه وتعالى رسُلَه لدَىَ **قومهم** ولا شك أن ولادة عيسى عليه السلام معجزة خارقة مخالفة لنظام البشر وخاصة أن التى وضعت عيسى مريم العذراء التى اشتهرت عند قومها هى وعائلتها بالتقوى والصلاح ﴿ **ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً** ﴾ .

وقد رأينا أن الله سبحانه وتعالى جعل آية كل من زكريا ومريم عليهما السلام عندما واجها قومهما هى الصيام والامتناع عن الكلام فكيف يكون الصيام حُجَّة وهو لغة الصمت والانكسار أمام المتربصين من القوم من بنى إسرائيل ؟ .

وكَأن الله سبحانه وتعالى قد أمرهما بذكره وتسبيحه وشكره أن جعلهما محلاً لهذه النعمة والمعجزة وسبباً ظاهراً لها ولا يتكلمان مع القوم بالمخاطبة فَفِى حَالِ صيامهما أَلقىَ عليهما نوراً يغشاهم وملائكة تظلهم وترعاهم فَيَهَابهُمُ الخلق فَثبَّت فؤادهم وتولَّى عنهم الخطاب ولو أن عيسى عليه السلام كان هو المتكلم فى المهد ولكن الخطاب كان من الله سبحانه وتعالى فقهرهم بسلطانه وأسكتهم ببرهانه لأنه سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد .

جعل الله سبحانه وتعالى الصيام سكناً لنفس زكريا ومريم عليهما السلام وانسجاما مع الملأ الأعلى وَوَصْلاً بالله سبحانه وتعالى فاستوى ظاهرهما مع باطنهما بل تجرَّد ظاَهِرهُما فى حال الصيام والصمت وغشى زكريا عليه السلام نور النبوة وكذلك كان أمر الصدِّيقة مريم .

مع رسول الله ﷺ فى الصيام

دلائل النبوة قبل البعثة

الصيام هو عبادة السر بين العبد وربه سبحانه وتعالى ومقامات الصيام ودرجاته متعدِّدة تصعد بالعبد بِقَدْر صِيَامِه إلى الملأ الأعلى .

وماذا نستطيع أن نكتب فى هذا المقام والحقيقة المحمدية فوق العقول ولا يحيط بها الإعلام الغيوب الذى اصطفاه من صفوة صفوة خلقه منذ آدم عليه السلام حتى تقوم الساعة .

ماذا نقول فى صيام رسول الله ﷺ والذات المحمدية بشَّرت بها الرسل والكتب السماوية وأضاءت مشارق الأرض ومغاربها وفرح بها عُمَّار الملكوت من الملائكة المطهرين ؟!! .

جاء فى السيرة النبوية فى رواية السيدة آمنة أم رسول الله ﷺ قالت :

« عندما حَمَلتُ برسول الله أتانى هاتف وقال لى : حَمَلْتِ بسيِّد هذه الأمة يخرج معه نور يملأ قصور بِصْرى بالشام فإذا وقع فسمِّيه مُحَمَّداً واسمه فى التوارة مَحْمودٌ يَحْمَدُه أهل السموات والأرض واسمه فى الإنجيل أحمد يَحَمدهُ أهل السموات والأرض واسمه فى القرآن مُحْمدٌ . فما شيء أنْظُره فى البيت إلاَّ نور وإنِّى لأنْظُر إلى النجوم تَدْنُو منِّى حتى أقول لَتَقَعنَّ على الأرض » .

وبسند الخطيب البغدادى مختصر برواية السيدة آمنة أم رسول الله ﷺ قالت :

« لما وضَعْتُه رأيتُ سحَابَةً عظيمة لها نُور أسمع منها صهيل الخيل وكلام الرجال حتى غَشِيَتْهُ وغُيِّبَتْ عنيِّ وسمعت منادياً ينادى : طُوفُوا به جميع الأرض

واعرضُوه على كلِّ روحَانيٍ من الإنْس والجن والملائكة واغمسُوه فى أخلاق النبيين » .

ثم نَظَرتُ إليه فإذا به كالقمر فى ليلة البدر وريحه كالِمسْك الأَذْفرَ .

عليك صلوات الله يا سيدى يا رسولَ الله .

ماذا نقول فى سيِّد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة العالمين .

عن السيدة عائشة أم المؤمنين قالت : قالَ رسول الله ﷺ : جاءنى جبريل وقال : قَلَّبتُ الأرض مشَارِقها ومغاربها فلم أجد رَجُلاً أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام .

وعن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله عز وجل قسَّم الخلق قسمين فجعلنى خَيْرهما قِسْماً وأنا خَيْر السابقين وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فَخْر** » ــ السيوطى ــ

وفى رواية أخرى قال رسول الله ﷺ :

« **إنى عبد الله وخاتَم النبيِّين فى أم الكتاب وإن آدم لمنجدل فى طينه . وأنا دَعْوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى** » .

يقول الإمام أبو العزائم :

مِنْ لَدُن آدم إلى يوم عيسى　　وهو شَمْسُ ومَصْدَرُ الأنوار
أنْت شمس لِلرسل منك تحلَّوا　　بالأيادى فى مُحْكم الأسفارِ

ويقول الإمام محمد ماضى أبو العزائم :

إنَّ الله تقدَّست ذاته تجلى ظاهراً مقدساً عن التشبيه فصاغ من نور أسمائه وصفاته الحقيقة المعْصُومة المحمدية التى هى نور النور فهو ﷺ سِدْرةَ منتهى علوم الخلائق فأشرقت شمس ذاته المحمدية تضىء العالمين بضياء علومه .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

والخلق العظيم بلسان الحق هى منتهى جمال وكمال الصفات ..

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

فَكنتَ يا سيدى الخليفة المختار لله سبحانه وتعالى منذ الأزل يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ **إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفة** ﴾ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **يأيها النبى إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ .

وفى قصيدة للإمام محمد ماضى أبو العزائم فى الذات المحمدية يقول :

أيا مظهراً عجزت عقول أولى النهى ... عن البحث فى مبْناه فى كل صورة
ويا باب حضْرةِ ذَاتِ قُدْس منزَّه ... ويا آيةً كبرى لأهل المعيَّة
أيا سدرةً فيها انتهى العلم ظاهراً ... وعرش التجلى فى مقام الحنانة
ويا نور زيت الحق فى حضرة الصفا ... وأكمل أوصاف أضاءت بصورة
وقبضة نور الذات والكنز مجمل ... وسر التجلى والعلوم الحقيقة

ماذا نقول فى سيد المرسلين وإمام المتقين من أقامه الله سبحانه وتعالى مقامه مثلاً لواسع رحمته وفضله والتى لم يُعْطِها أحداً من خَلقه من قبل يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ويقول جل وعلا ﴿ **إنَّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله** ﴾ .

ويقول الإمام أبو العزائم فى التفسير إن من أسرار هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أقام الرسول فى أكمل وأجمل **مظهر** فى عالم الملك والملكوت **مظهراً** للخلافه .

وفى الحديث المتواتر عن جابر رضى الله عنه عندما سأل الرسول ﷺ عن أول خلق الله سبحانه وتعالى فقال ﷺ « **خلق نور نبيِّك من نوره يا جابر** » .

والله سبحانه وتعالى بدأ بالكمال فى خَلْقه ثم الذى يليه فكان عرشه سبحانه وتعالى على الماء قبل خلق السموات والأرض وخَلقَ الملائكة قبل خلْقِ آدم عليه

السلام وخلق نور رَسول الله ﷺ فى عالم الغيب ثم منه خلق نُور الأنبياء ثم الأكمل بعد ذلك من خلقه وهم الورثة والعلماء .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتُؤمنُنَّ به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى : قالوا أقررنا : قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾
ـــ آل عمران ـــ

ويقول الإمام محمد ماضى أبو العزائم فى كتابه أسرار القرآن إنَّ هذا الميثاق برهان على المكانة المحمدية وأن الرسل بالنسبة لرسول الله ﷺ أُمَّة وهو رسُولها وبياناً لمنزلته ﷺ .

وفى هذا المقام يقول الإمام محمد ماضى أبو العزائم :

فَقُمتَ مقاماً لم يَقُمه سِوَى الَّذى لقد أبدَعَ الأكوان بالفْضِل تَكوِيْناً
وفى مُحْكم القرآن سِرٌّ إشارة فأنتَ جَمالُ الله كشفاً وتَعيْناً

ويشير الإمام أبو العزائم إلى آيات القرآن الكريم فى حق رسول الله تشريفاً وتعظيماً لقدره ومن أصدق من الله حديثاً ؟ ـــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتابٌ مبين ﴾ .

﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ .

﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ .

رسول الله قبل الوحى

ما ألمَحناَ إليه هو شذرات أو قطرات من عبير النُّبوَّة أشرنا إليها ولا أهدف منها رواية السيرة الشريفة فهى فوق قدرى ، ومقصدى من ذلك . نضىء شمعة

لتدرك بنور حسك وإيمانك أن أحوال رسول الله فى عبادته وصيامه عِلْمُها عند ربى وقد حَجَبَها سبحانه وتعالى عن أمين الوحى جبريل الأمين عندما عُرِج به ﷺ فاجتاز السموات السبع وسِدْرة المُنْتهَى وعندما توقف جبريل عليه السلام وتقدم رسول الله ﷺ لَيخْتِرَق حُجُب النور الإلٰهية حتى وصل إلى مقام ﴿ **قاب قوسين أو أدنى** ﴾ .

وكتب السيرة لم تحدثنا عن حياة الرسول ﷺ وعبادته وسياحته مع ربه قبل بعثه إلاَّ النَذْرُ اليسير لذلك التَمَستُ من المراجع لأجمع بعض ما يروى ظمأ أحباب رسول الله ﷺ لأُجيبَ عن بعض الخواطر التى روادتنى :

(١) هل كان يعلم رسول الله ﷺ أنه نبى مرسل قبل بِعْثَتِهِ ؟

(٢) ما هو سُلُوكه بين قومه قبل البعثة ؟

(٣) كيف كان يتعبَّد رسول الله ﷺ قبل الوحى ؟

نقول وبالله التوفيق :

نشأ رسول الله ﷺ بين قومه فى مكة التى كانت تَغْشاَها ظُلماَت الشِّرك والجهالة وكانت قلوب المشركين أقسى وأَمَرَّ من جبال مكة وصخُورها . الوالد يقتل ابنته خوفاً من العار .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت** ﴾ ؟ والإبن يرث زوجة أبيه بعد وفاته ويبيعها فى سوق العبيد ، والأصنام حول البيت الحرام تنحر تحتها الذبائح فتلوث طهارته وحرمته والخمور وكل أنواع الإفك والحرمات تنتهك والحروب والدماء تُهْدر لأتفه الأسباب والرجال والنساء والصبيان تُسْبَىَ وتُباع وتُشْترى فى سوق العبيد والسياط والعذاب الشديد للضعفاء لكل من يخالف الأسياد والفجور والمجون ينتشر فى الحانات .

ظُلمُاتٍ بعضها فوق بعض وأهل الكتاب يتربصون بالدين الجديد وكهنتهم تحالفَتْ مع الجن والمشركين ليجهضوا أى دعوة للحق ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾.

فى هذه البيئة الشرّسة وظلمات الوثنية والجهالة تفجرّت أنوار رسول الله ﷺ يتحدّى كل ما هو حَوْله حتى تكون كلمة الله هى العليا.

.. هل كان يعلم ﷺ قبل بعثه أنه نبى هذه الأمة؟

إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أحاط رسول الله ﷺ بعنايته الربّانية ورعايته وجمّلَهُ وحفظه من كل مظاهر الشرّك وعادات الجاهلية كىْ يحمل أعظم رسالة فى الوجود .. رسالة الكمال والتمام والنعمة والرضا ـ يقول سبحانه وتعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾.

سَمِع رَسولُ الله ﷺ الروايات تُروْى من أمه عن معجزات مولده الشريف وسمعها من المقربين من أهله وعن النور الذى ملأ الآفاق.

وعندما كان فى حضانة السيدة حليمة السعدية رأى الملائكة تحتضنه وتشُقّ صدره الشريف وتغسل قلبه بماء زمزم وتملؤه بالرحمة وتخْتِمهُ بخاتم النبُّوّة وتكلَّم معهم وكلَّموُه ورأى صلوات الله عليه عند سفره إلى الشام فى تجارة أم المؤمنين السيدة خديجة شاهد الغمام يُظَلّله أينما ذهب أو رحل واستمع إلى حديث بُحيَرى الراهب الذى قال لعمِّه عبد المطلب والله إنهُ لنبى هذه الأمة الذى ننتظره ونَجِدُهُ عندنا فى الكتاب ارجعوا به حتى لا تعلم اليهود بأمره فيقتلوه.

وقد روى الإمام أحمد أن أبا هريرة رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله: ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله ﷺ وقال يا أبا هريرة.

« إنّى لفى صحراء مكة ابن عشر سنين وأشهر وإذا بِكلام فوق رأسى » وإذَا رجل يقول لرجل: أهو هو قال له نعم: فاستقبلانى بوجوه وثياب لم

أرها لخلق قَطّ فقال أحدُهما لصاحبه : أضجعه فأضجعانى وقال له : افْلِقْ صدره وأخْرِج الغلَّ والحسد فَهوَى أحدُهما على صدرى ففلقه وأخْرجَ شيئاً بهيئة العلقة ثم قال : أدْخِل الرأفة والرحمة . فإذا مثل الذى أخْرج يُشْبه الفضة ثم هز إبهام رجلى اليمنى فقال لى : اغْدُ واسلَم فرجعت بها أغدو رأفة على الصغير ورحمة بالكبير .

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

أول ما بدىء به رسول الله ﷺ حتى أراد الله كرامته ورحمة العباد به هو الرؤيا الصادقة ولا يرَى رؤُيا فى نومه إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح وحبب الله إليه الخلوة فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلو وحَدَه وكان ﷺ يَسْمعُ أصواتاً تناديه وتسلم عليه .

ورؤيا الأنبياء حتى بعثتهم هى إما بشرى لهم من الله سبحانه وتعالى أو إلهام منه سبحانه وتعالى ..

رؤيا إبراهيم عليه السلام قال سبحانه وتعالى ﴿ **يا بنى إنِّى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾ وصدق إبراهيم عليه السلام الرؤيا فكانت ابتلاء واختباراً من الله سبحانه وتعالى له .

يوسف عليه السلام رأى فى المنام الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً له ساجدين وقد جعلها الله حقاً بعد ذلك بسنوات .

وكان رسول الله ﷺ يسمع الأشجار والأحجار تناديه وتقول : السلام عليك يا رسول الله فيلتفت عن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر والحجارة يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾ ــ الرحمن ــ

يقول الإمام البوصيرى فى البردةَ :

جاءت لدعْوَتِهِ الأشجارُ ساجدة   تَمشِي إليه علىَ ساقِ بلا قدم

كل هذه الروايات بسندها الصحيح من الأحاديث أو الإشارات التى وَرَدت فى القرآن الكريم إنما تدل على أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلم قبل بعثته أن الله سبحانه وتعالى قد اختاره لأمرٍ جَلَلٍ ورسالة عُظْمى .

ولكنه كان ﷺ مؤدباً مع ربه حتى قبل بعثته فلم يُفْصِح عنْ شىء إلا إذا أتاه الأمر والنداء من الله سبحانه وتعالى .

كذلك كانت أخلاقه وسلوكه ﷺ أخلاق الأنبياء قبل بعثه والحديث الذى أوردنا عن رواية السيدة آمنة عندما قالت الملائكة وهو فى المهد (اغمسوه فى أخلاق الأنبياء) .

عندما كان ﷺ رضيعاً عند السيدة حليمة السعدية رضع ﷺ من ثديها الأيمن وامتنع عن الرضاعة من الثدى الأيسر فقد تركه لأخيه من الرضاعة فقد كان ﷺ رؤوفاً رحيماً وهو ما زال فى المهد صبياً .

بُغِّضتَ الأصنام لرسول الله ﷺ فما مقت شيئاً أكثر من هذه الأصنام فلم يسَجُدْ لصنم قط وابتعد عن أعياد الجاهلية وصَخَبِها فلم يشاركهم فيها حتى أن عمه أبا طالب تحدَّث معه ﷺ لمقاطعته لأعياد قريش وإنَّ قريشاً تَقَّولت فى ذلك وقال له يا محمد ، ما تُرِيد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً ؟ .

وكان ﷺ يطوف حول الكعبة بين حين وآخر طواف تعظيم وتقديس لله تعالى فما كان ﷺ يَشْهدُ هذه الأصنام فى طوافه ولكن كان فى سياحه مع أنوار رب البيت سبحانه وتعالى ويؤمن ﷺ أنَّ لهذا البيت حُرمة وكأنه يحدث نفسه : متى سيتطهَّر هذا البيت من رجْسِ الجاهلية ؟ وكان ﷺ فى طوافه قبل بعثته مقتدياً بالأنبياء عن طريق الإلهام الربَّانى فما من نبى بعثه الله سبحانه وتعالى إلا وطافَ حول البيت .

عندما أعادت القبائل فى مكة بناء الكعبة وكان ﷺ فتىً فوق الثلاثين من عمره اختلفت إلى حَدّ القتال وقَعقَعه السيوف فكُل قبيلة تريد أن تفوز بوضع الحجر الأسعد فى موضعه لتنال هذا الشرف فقال حكيمهم : أول من يدخل البيت نختاره حكماً .

فكان رسول الله ﷺ أوَّل من دَخل البيت ففرحوا وهللوا وقالوا (هذا هو الصادق الأمين ارتضيناه حَكَماً) فوضع ﷺ الحجر الأسعد على ثوب من القماش أمسكتْ كلُّ قبيلة بطرف منه ثم تناول الحجر بيده الشريفة ووضعه فى الركن الذى ما زال فى موضعه حتى الآن . وحُقِنَتْ بحكمته الدِّماء والقتال فهل كان دخوله ﷺ إلى البيت فى ذاك الوقت المحدَّد من قبيل المصادفة أم إلهاماً من الله سبحانه وتعالى ؟

فلبىَّ نداء ربِّه ليقيم الحُجَّة على كفار قريش من أنَّ حِكَمتَه وعقله قد رجَحَتْ حُكماَء قريش وشيوخها .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله فى كتابه (القرآن والنبى) :

إن الله سبحانه وتعالى وقد شاءت إرادته منذ الأزل أن يكون محمد خاتم الأنبياء والمرسلين أراد سبحانه وتعالى أن يجعل منه المثل الأعلى للإنسان الكامل — فبدأ بالسَّير نحو الكمال فرواية شق صدْرِه عليه صلوات الله مَظْهَرهُا طَهاَرة القلب وتصفية النفس والإخلاص فَمُلِىءَ قلبه بالرأفة والرحمة ثم ملئوا قلبه بعد ذلك بالحكمة والإيمان .

وما ذكره ابن خلدون :

ويوجد له ﷺ قَبلْ الوحى خُلُق الخير والزكاء (أى زكاة النفس) ومجانبة المذمومات والرجس أجمع ، وهذا معنى العِصْمَة فكان منزَّهاً عن جميع المذمومات ..

ومضت فترة الشباب برسول الله ﷺ وهو طاهر زكى . طاهر من الآثام التى تُدَنِّس الشباب بعيدٌ عن الشرك فلم يسجد لصنم قط .

لقد كان رسول الله ﷺ أمَّة وحده وسط ضلال قريش ودياجير الظلام فى مكة ولم يُسْلِم نفسه أبداً إلى مهاوى الشهوات وكان أميناً يأتمنه الناس على أسرارهم وأموالهم ويلجئون إليه فى أقضيتهم وخلافاتهم فيعطيهم من رُشْدِه وحكمته الخير كل الخير فسَمَّوه الصادق الأمين والصادق الحكيم .

ولقد أجملت أم المؤمنين السيدة خديجة رضى الله عنها وأكرم مثواها فى الملأ الأعلى أخلاق رسول الله ﷺ بعدما هبط عليه الوحى فى المرة الأولى فقالت :

« كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنَّك لتِصَل الرَّحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُكسبُ المعدوم وتُقِرْى الضيف وتعين على نَوائب الحَق » .

لقد كانت أخلاقه عليه الصلاة والسلام أخلاق الأنبياء قبل بعثته فهو الأمين والصادق والحكيم والمَوَحِّد بربه بالنهار والليل وفى جوف الغار وهو الجواد الكريم وهو الملجأ للضعيف وذى الحاجة وهو البَارّ بأهله ورَحِمِهِ وهو المنزَّه عن سفاسف القول واللغو من الكلام فاجتمعت له كل الأخلاق الحميدة والفضائل الرشيدة وقد حدثنا رسول الله عن جوهر رسالة الإسلام فقال :

﴿ **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** ﴾ لقد كان منَارَها وعَلَمهاَ .

لقد امتلأت نفس رسول الله بالنور وملىء قلبه بفيوضات إلٰهية وتهيَّأتْ ذَاتُه الشريفة ﷺ ليَتبوَّأ مكانته السامية فى عالم الملك والملكوت فقد عَلِم أن الله قد اختاره منذ الأزل للرسالة . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾ .

وكان ﷺ ينتظر الأمر فالله سبحانه وتعالى قد تولىَّ تربيته ورِعَايَتَهَ ..

يقول ﷺ « **أدبنى ربِّى فأحسن تأديبى** » .

فى الغار قبل الوحى :

أما آن لهذه الظُّلمة أن تَنْجلِى
أما آن لهذه الأصنام أن تتحطم .
أما آن لهذا الضلال الذى يُخَيِّم على مكة أن ينقشع .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه القرآن والنبى :

لقد حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يَخلُو بِغاَر حراء فَيَتحنَّثُ فيه (أى يتعبد) فى الليالى ذوات العدد. قبل أن يَنْزعَ إلى أهله ويتزوَّد لذلك معتكفاً فى غار حراء متعَبِّداً حتى قالت العرب إنَّ محمداً قد عَشِقَ ربَّه ..

ويلجأ رسول الله ﷺ إلى الله يستغيث به ويُلِحُّ فى الرجاء ويطلب الرحمة منه له ولقومه .

وتمضى الأيام وهو فى كفاح المستميت وجهاد المستبسل يتجه إلى الله فى الصباح ويتجه إليه فى الظهيرة وفى الآصال وعند كل مَغِيبِ الشمس يتجه إليه حين تلمع الكواكب فكان مهاجراً إلى ربه فى كل لحظة وكل نفس وفى كل نَبْضةِ قلب .

كانت حياته كلها انتظاراً لأمر الله وكلها مع الله ويضاعف رسول الله ﷺ خضوعه وتَذَلُّلَهُ ويجاور الأمل حتى أصبح صلوات الله عليه وسلامه فى إلهَامه وكأنه صفاء من الصفاء ونور من النور فلما استوت على الجودى ولما كاد زَيتُها يضىء ولو لم تمسسه نار وفى ليلة من الليالى كان ﷺ معتكفاً كعادته فى غار حراء كل عام فى شهر رمضان المبارك تحطَّم ذلك الحاجز ليفصل بين الهيكل البشرى من جانب والاصطفاء الإلٰهى والاجتباء الربَّانى من جانب آخر ويعبُر آخر حاجز بين الولاية والنبوة .

وفى كتاب نور الأبصار للعالم الجليل الشبلنجى يقول :

حبِّب إليه ﷺ الخُلْوة فكان يختلى فى غار حراء ويتعبّد فيه ، قيل بالذكر وقيل بالفكر وفى كلام الشيخ محى الدين أن تعبُّده قَبْل نبوته كان بشريعة إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل غير ذلك وكان لا يرى الرؤيا إلا وجاءت مثل فلق الصبح وكانت تلك المقدمات الصادقة هى مقدمات الوحى .

وفى هذا المقام يقول الإمام البوصيرى فى البردة :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة　　تمشى إليه على ساق بلا قدم
وما حوى الغار من خير ومن كرم　　وكل طرف من الكفار عنه عَمِى

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقى :

سائل حراء وروح القدس هل علما　　مصون سرٍّ عن الإدراك منكتم
يساير الوحى فيها قبل مهبطه　　ومن يُبشَّر بسيما الخيرِ يتسم

ويقول فضيلة الشيخ محمد عايش عبيد فى تغريدة السيرة النبوية :

واختار غاراً فى حراء للتأكد من هواها
فى كل عام صار يخلو منه شهراً كى يراها
عشق التحنُّث والتأمل فى الفلاة وفى رباها
فى الغار يخلو كى يجِّرد نفسه مما عراها
نفسٌ صفت حتى غدت للنور ترنو فى رؤاها

وفى رواية أخرى لأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وأكرم مثواها قالت :

« حبب لرسول الله ﷺ الخلاء فكان قبيل الوحى يغادر مكة ويتركها ليخلو بغار حراء فريداً يتأمل ويرجو ويسجد لله متعبداً خاشعاً طالباً رضاه كان يتحنَّث فى الغار فى الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويعودَ من جديد إلى النُّسُك وإلى العبادة » .

الله سبحانه وتعالى يصف أحوال رسول الله ﷺ قبل هبوط الوحى فى أبلغ مشهد من مشاهد التوحيد والعشق الربانى فيقول له :

﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى﴾ .

وظاهر هذه الآيات معلوم والله سبحانه وتعالى يخاطب بالقرآن كل الناس ... يخاطب الكفار ليقيم عليهم الحُجَّةَ ويخَاطِب أهلَ الإسلام وأهلَ الإيمان وأهلَ الإحسان ، هم درجات عند ربهم ، والرسول يقول إن القرآن له ظاهر وباطن وحد ومطلع ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً﴾ .

كلمة اليتيم تطلق على من فقد أباه وتطلق على الشىء الفريد الذى ليس له نظير ويقول الإمام أبو العزائم : « اللهم صَلِّ على جَوْهَرَةِ كنزك اليتيمة » أى الفريدة التى ليس لها نظير ..

فرسول الله هو عبد الذات الفريد والمصطفى من صفوة خلقه فآواه ربه سبحانه وتعالى :

﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾ أى وجدك متحيِّراً وعاشقاً لنا .

فهديناك إلى حضرتنا وأرسلنا إليك جبريل أمين الوحى .

وقد جاء فى سورة يوسف عليه السلام ـــ قال إخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السلام عندما قال لهم : ﴿ **إنى لأجد ريح يوسف** ﴾ قالوا : ﴿ **تاالله إنك لفى ضلالك القديم** ﴾ أى فى حبك القديم ليوسف والذى ظنوا أنه مات .

وذهب الإمام القشيرى فى تفسيره أن الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية يشير إلى المعانى الآتية :

ألم نجدك يا محمد عاشقاً ومتحيراً فى محبتنا فهديناك بنور القرب إلينا .

ألم نجدك ضالاً بمعرفة شرفك وقدرك بين قومك فقربناك إلينا ورفعنا لك ذكرك .

وأهل الإحسان يقولون : كأن الله يقول لرسوله الكريم ألم نجدك سائحاً فى عالم الملك والملكوت هارباً من ظلمات الجاهلية تطرق بابنا وأنت ساجد فى الغار قائم بين يدينا بالليل وبالنهار فهديناك بنور القرب إلى أعتابنا وأرسلنا إليك جبريل الأمين يبشرك بشرف النبوة والرسالة فكشفنا عنك الحجاب وكلمناك بالخطاب .

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾

وحتى نزيل عن نفسك كل لبس اقرأ معى حديث رسول الله « **الحكمة ضالة المؤمن** » أى مراده وبغيته التى ينشدها .

الرسول يتعبد قبل بعثته :

كما قلنا إن كتب السيرة لم تتعرض لأحوال وعبادة الرسول ﷺ قبل الوحى إلا بالنذر اليسير .

وقد اجتهدت بقدرى الضعيف لكى أجمع كل ما يتصل بهذا الأمر فى الروايات المتواترة وأشرت إلى بعض المراجع وذلك حتى نستدل بقدر الإمكان إلى ما يشرح الصدور ويروى ظمأ أحباب رسول الله ومن كل ما ذكرناه يمكن أن نستدل ونحن فى حذر شديد وخوف من أن نقول على الله ورسوله ما لا يليق :

(١) أنه ﷺ أُلهِمَ قبل بعثته أن الله سبحانه وتعالى قد اختاره لأمر جلل ورسالة عظمى .

(٢) أن الرسول ﷺ كان يسمع الروايات والمبشرات التى تروى عنه ولا يتفاخر بعلو مكانته أو يتحدث بشىء من الكلام لأن الله تولىَّ تربيته منذ مولده فكان مؤدباً مع ربه لا يسبق الأمر الربانى ــ يقول ﷺ « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » .

(٣) أنَّ أخلاقه وسلوكياته وحياته قبل البعثة كانت أخلاق الرسل والأنبياء طهارة واستقامة وأدباً وصِدْقاً وحكمة وصلاة وتسبيحاً وهذا كله هو جوهر العبادات .

(٤) أن الله سبحانه وتعالى قد أفاض على رسوله المرائى والفيوضات الإلٰهية فكان ذاكراً مسبحاً حامداً ساجداً لله سبحانه وتعالى وكانت الأشجار والجبال تسبِّح معه ويسمع أصواتها وتناديه باسمه .

(٥) أنه اعتكف فى غار حراء قبل البعثة بأربع سنوات وهو فى السادسة والثلاثين من عمره ولم نقرأ فى كتب وسير الأنبياء السابقين أن منهم صلوات الله عليهم جميعاً من قام بمثل ذلك فأراد الله سبحانه وتعالى أن يدرِّبه على الزهد والصبر والمجاهدة والتقشف ولم يصبر نبى على قومه مثلما صبر سيد المرسلين حتى دخلوا فى دين الله أفواجاً .

(٦) أن الإعتكاف والخلوة والجوع قهر للجسد والشهوات ورفعة للروح والنفس البشرية فما بالكم باعتكاف سيد الخلق ﷺ

(٧) تعددت الروايات أنه ﷺ كان يعتكف فى الأيام ذوات العدد أى الزوجية ومنها أنه كان يعتكف فى غار حراء شهراً كاملاً فى رمضان وربما تكون كل من الروايتين صحيحة فكان ﷺ يعتكف اعتكافاً متقطعاً فى الليالى ذوات العدد أو متواصلاً فى شهر رمضان ؛

(٨) جاء فى بعض الروايات أنه ﷺ كان يتعبَّد فى الغار على شريعة سيدنا إبراهيم الخليل بإلهام من الله وربما يكون الله سبحانه وتعالى هداه إلى الصلاة الإبراهيمية والصيام عن طريق الرؤيا والإلهام والذى يؤيد هذا الرأى أنه ﷺ كان يصلى الصلاة الإبراهيمية : ركعتى الصبح قبل الشروق وركعتين عند الغروب قبل أن تفرض الصلاة وكان يصوم بعض الأيام فى مكة قبل أن يفرض الصيام فى المدينة قول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ **وسبحٍّ بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ .

وما كان رسول الله ﷺ فى خلوته فى الغار فى حاجة إلى طعام أو شراب وهو الذى أظمأ نهاره وقام ليله فكان الله يطعمه ويسقيه من فضله وإذا كانت مريم عليها السلام اعتكفت فى المحراب فأطعمها سبحانه وتعالى من فضله فما بالكم بسيد المرسلين ورحمة رب العالمين ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً** ﴾ .

(٩) لم يكن اختيار رسول الله ﷺ شهر رمضان للاعتكاف والخلوة الكاملة هو من قبيل المصادفة وإنما بإلهام وتوجيه من الله سبحانه وتعالى قبل البعثه .

* **فشهر رمضان هو شهر المسلمين .**
* **شهر رمضان هو شهر القرآن .**
* **شهر رمضان هو شهر ليلة القدر .**
* **شهر رمضان هو شهر الجهاد والفتح الأكبر والنصر المعظم وفتح مكة .**
* **شهر رمضان هو شهر الصيام .**

(١٠) فى الرابع والعشرين من رمضان المعظم وقيل فى السابع عشر وقد بَلغَ الرسول الأربعين من عمره وقد خيَّم على مكة ظلمات الشرك والوثنية ..

والسكون يملأ الكون والناس كلهم نيام فى غفلة ، والنجوم تلمع فى كبد السماء وتدور فى فلكها وملائكة السموات السبع تتوالى وتهبط أفواجاً حول رسول الله وملائكة الأرض تستعد لأمر عظيم ومشهد كريم ..

ورسول الله ﷺ ساجِدٌ بين يدى رَبّه ..

ويأتى صوت جبريل عليه السلام يشق الكون كله ..

فالتقى النور بالنور الأكبر فيضم جبريل الأمين الرسول إلى صدره ويقول له إن ربك يقرئك السلام ويقول لك :

اقـــرأ .

اقـــرأ .

اقرأ باسم ربك الذى خلق .

وينتقل السر من غار حراء من عالم البطون إلى الظهور لتُدَكْدِك ظُلمات الشرِّك والوثنية ويبدأ رحلة النبوة العطرة .

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ (الإسراء : ٨١) .

مع الرسول فى رمضان

ما أسرفنا فى الحديث عن رسول الله ﷺ وقبل أن نتعرض لصيامه فى رمضان المعظم فرضاً أو تطوعاً ونفلاً ، نقول :

إنَّ حياته ﷺ كلها أقواله ، أفعاله ، حركاته ، سكناته بل وأنفاسه هى الشريعة والسنَّة ، هى رسالة الهُدَى ودين الحق نسخت جميع الأديان السابقة وتظل باقية إلى يوم الدين .

عندما سأل أحد الصحابه أم المؤمنين السيدة عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت له :

(أما قرأت القرآن ، كان خلقه القرآن)

حياته كلها الصراط المستقيم والمنهج القويم والأدب العظيم وكما قالت السيدة عائشة :

« كان يعفو ويغفر ، أو يعفو ويصفح ، ولا يجازى السيئة بالسيئة » ـــ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ أى أرحم بك وأكثر شفقه عليك من نفسك التى بين جنبيك .

ويقول الرسول ﷺ :

« **أجوع يوماً وأشبع يوماً فإذا جعت صبرت وتضرَّعت وإذا شَبِعتْ شكرت وحمدت** » .

كان الرسول ﷺ صوَّاماً قبل بعثته وقبل أن ينزل عليه الوحى بآيات الصيام لتكون الركن الرابع فى الإسلام .

نعتقد أن رسول الله ﷺ تعبَّد قبل بعثته على منهج عبادة الخليل عليه السلام ـــ يقول سبحانه وتعالى ﴿**قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ بإلهام من ربه فلما استوت على الجودى وأصبحت ذاته ﷺ كلها نوراً على نور ناداه ربه سبحانه وتعالى وقال له ﴿**اقرأ**﴾ .

أربع سنوات عبادة المستميت فى الغار قائماً وقاعداً وساجداً ، باكياً فَانِياً حتى لم يَعُدْ يَرىَ سوى فيوضات الله وأنواره ويسمع أصوات الملائكة من حوله والأشجار والجبال تسبح معه وتناديه باسمه .

ومن آيات ذلك أنه ﷺ أقام الصلاة بعد نزول الوحى مباشرة قبل أن تفرض الصلاة ، وصام قبل أن يفرض الصيام ، وسندنا فى ذلك أن سورة العلق أول سورة أنزلت عليه يقول سبحانه وتعالى ﴿**أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى**﴾ لأنه ﷺ كان يتعبد بجوار الكعبة الأمر الذى أفقد كفَّار مكة صوابهم .

فى سورة (المزَّمِّل) وهى الصورة الثانية أو الثالثة بعد سورة العلق ـــ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿**إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك**﴾ .

وسندنا الثانى فى ذلك أيضاً :

أن كفار مكة وقد شدُّوا الوثاق حول المستضعفين من المسلمين الأوائل وساموُهم بكل أنواع التعذيب فقد أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فذهب فى أثرهم وفدٌ من كفار قريش إلى ملك الأحباش فقالوا له : إن هؤلاء الغِلمْان من السفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دِينك فُرُدَّهُمْ وأسْلِمهْم إلينا لنؤدِّبهم .

طلب النجاشى أن يستمع إلى حُجَّةِ هؤلاء الذين فروا بدينهم إلى الله ، فقال جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

« كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأتى الفواحش ويأكل القوى فينا الضعيف ..... حتى بعث الله فينا رسولاً منا نعرف نسبه وشرفه وصدقه وأمانته فدعانا إلى الله نوحّده ونعبده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... وعدَّدَ أمور الإسلام فآمنا به واتبعناه فقال النجاشى : إن هذا وما جاء به عيسى ليخرج من مِشْكاة واحدةٍ والله لا أسلمكم إليهم أبداً .

ومما أوردناه نرى أن المسلمين الأوائل أقاموا الصلاة وصاموا فى مكة على مِلَّةِ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام قبل أن تفرض وليس مقصدنا فى هذا البحث أن نتعرف على الهيئة التى تعبَّدُوا بها ؛ لأن العبادات فى الأصل طاعة وصِلَة ومناجاة بين العبد وربه ، ولكن أردنا أن نهتدى إلى أن عباداته ﷺ متصلة بحبل الله المتين وما تحول بصره أو أنفاسه عن ربه سبحانه وتعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ .

صيام الذاكرين والمسبِّحين

جعل الله سبحانه وتعالى آية زكريا عليه السلام عندما بشَّره الوحى بيحيى عليه السلام أن يصوم ثلاثة أيام عن الكلام ويخرج إلى قومه ولا يكلمهم إلا رمزاً أى بالتسبيح والحمد لله سبحانه وتعالى ـــ قال تعالى :

﴿ **قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً** ﴾ (مريم : ١١) .

ثلاثة أيام ولكن رسول الله ﷺ كانت حياته كلها ذكراً وشكراً وعبادة فأقواله ﷺ وأفعاله كلها شريعة وسنة يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **وما آتاكم الرسول فخُذُوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

(كان رسول الله ﷺ يذْكرُ الله على كل أحيانه) . حديث أم المؤمنين عائشة .

عُمرْه كله ﷺ مع ربِّه ولأمته فهو الرحمة الكلية لعالم الملك والملكوت .

وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت ذات ليلة يا رسول الله : أتنام قبل أن تُوتِر (أى تُصلى الوتر) .

قال يا عائشة « **إنَّ عينى تنامان ولا ينام قلبى** » ــ رواه البخارى ــ

وعن جابر بن عبد الله قال :

(جاءت الملائكة إلى نبى الله ﷺ وهو نائم فقال بعضهم لبعض إنه نائم وقال بعضهم إن العَيْنَ نائمة والقلب يَقْظَان) ــ رواه البخارى ــ

وسُئِلتْ أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وأكرم مثواها عن كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ وهل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله دِيَمه (أى مستديماً) ثم قالت : وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع ؟! ــ أخرجه البخارى ــ

وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وفى قول آخر وفى صدره أزيز كأزيز الرَّحَى من البكاء ــ رواه الإمام أحمد ــ

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها : كان النبى يقوم الليل حتى تَفْطُر قدماه فقالت له يا رسول الله لماذا تَصنْع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال ﷺ « **يا عائشة أحِبُّ أن أكون عبداً شكوراً** » .

ثلاثة أيام صامها نبى الله زكريا فكانت له آية فى قومه ، ورسول الله ﷺ عشق ربه حتى تخلل حبُّه له قلبه وكلَّ أنفاَسه ومُلِئَت روحه بأنوار القدس فكان جُلُّ دعائه وبكائه لأمته حتى قال الحق .

﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾

إنَّه حريصٌ علينا ﷺ أكثر من أنفسنا . حياته كلها ذكر وعبادة وأقواله كلها وحى من رب العالمين ..

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحىٌ يوحى ﴾

وما أوردناه هى مظاهر أما أحوال رسول الله ﷺ فى عباداته وسياحاته مع ربه فهى فوق العقول :

مقامك فوق قدْرِ الرسُل طُراً رُفِعْتَ عَلَيْهِمُوا مولاى قَدْراً

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾

سيدنا أويس القرنى رضى الله عنه العاشق الولهان فى الذات المحمدية الذى كشف الله سبحانه وتعالى له شُعَاعاً من نور رسول الله يقول لسيدنا عمر رضى الله عنه — وهو أمير المؤمنين — يا عمر هل رأيتم رسول الله ؟ تعجب سيدنا عمر وقال وكيف ونحن أهلهُ وعشيرته قال أويس : يا عمر والله ما رأيتم إلا ظِلَّ رسول الله .

ذهب عمر رضى الله عنه إلى أم المؤمنين عائشة وقال لها يا زوجَ النبى ، هل رأيت رسول الله ؟

فقالت له يا عمر هذا سؤال لا يسأله إلا العارفون فمن الذى أنبأك به ؟ قال : أويس القرنى .

قالت عائشة : يا عمر ، افتقدت رسول الله ذات ليلة (أى لم أجده بجوارى) فقمت أتحسس أثره فوجدته مستغرقاً فى سجوده يدعو ربه ويبكى وجدته نوراً من الأرض إلى السماء .

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين أنها دخلت مرة على رسول الله ﷺ وكان يتعبد فى ركن من البيت فقال لها : من ؟

قالت عائشة

قال : من عائشة ؟

قالت : بنت أبى بكر

قالت السيدة عائشة فَسَكَتُّ وانصرفت ولما فرغ رسول الله ﷺ وقد علم الدهشة التى إعترتها .. فقال لها ﷺ :

« يا عائشة إنَّ لى وقتاً لا يَسَعُنِى فِيه إلا ربِّى » .

عليك صلوات الله يا خليل الرحمن ، وقتٌ ينقَطِعُ فيه عن كلٍّ ما سِوى الله ولا يحيط بحاله ﷺ إلَّا الله .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه القرآن والنبى :

جعل ﷺ من كل حياته عبادة وأنه كان يعملها باسم الله ـــ لقد جعل صلاته ونسكه وصومه وحياته بأكملها لله رب العالمين ، جعل كلامه وصمته وحركاته وسكونه ونومه ويقظته بل جعل كل أنفاسه عبادة لله سبحانه وتعالى .. فهو ﷺ أوَّل المسلمين منذ أن خلق الله العالم إلى أن يطوى الأرض ومن عليها باعتبار أن الدين عند الله الإسلام منذ الأزل إلى الأبد .

صارت حياته كلها ﷺ عبادة لا تفتر ، ذاب فيها الهيكل البشرى ..

وفى هذا يقول الإمام محمد أبو العزائم :

ويا مظهراً عجزت عقول أولى النهى — عن البحث عن مبناه فى كل صورة
ويا مهبط التنزيل بل مصدراً له — ويا ترجمان الغيب فى كل حضرة
وقبضة نور الذات والكنز مجمل — وسر التجلى والعلوم الحقيقة
ومشكاة نور الحق فى كل آية — ونفخة قدسى زُيِّنَتْ للخليقة

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ﴾ .

الله سبحانه وتعالى منزه عن التشبيه وهو القائل سبحانه وتعالى **﴿ ولله المثل الأعلى ﴾** ورسول الله ﷺ المثل الأعلى فى كمال الأخلاق يقول سبحانه وتعالى **﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .**

الرسول زاهداً

زُهْدُ رسول الله ﷺ فى الدنيا ومتاعها من شراب وطعام وزينة لا يعد له أو يساويه أحد ..

روى الترمذى ـــ قال رسول الله ﷺ :

« **مالى وللدنيا ؟ ما أنا والدنيا ؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **لو أن لى مثل أحد ذهباً ما سرنى أن يأتى على ثلاث ليالٍ وعندى منه شىء إلا شىء أرصده لدينى** » .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاث ليالٍ تباعاً من خبز حتى توفى ﷺ ..

وفى حديث آخر : كنا آل محمد يمر بنا الهلال والهلال والهلال ما نوقد بنار للطعام إلا أنه التمر والماء ..

وعن النعمان بن بشير يقول سمعت عمر بن الله عنه يقول :

رأيت رسول الله ﷺ يتلوى يومه من الجوع و ، لو سأل ربه لرزقه بغير حساب .

ويقول البصيرى رضى الله عنه فى بردته :

وشد من سَغَبٍ أحشاءه وطوى ... تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم
وراودته الجبال الشمُّ من ذهب ... عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيها ضرورته ... إن الضرورة لاتعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وكان ﷺ يحبِّبُ أهل بيته فى الصيام والجوع فيقول لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

« **يا عائشة داومى قرع باب الجنة**

قالت كيف ؟

قال بالجوع يا عائشة » .

الرسول فى رمضان

ما قدمناه لمحة من لمحات زهد الرسول ﷺ فهو النبى الذى أظمأ نهاره وأقام ليلة فكان الجوع حليفه لا يفارقه وربه سبحانه وتعالى أنيسه وجليسه حتى أنك لا تعرف أهو صائم أو مفطر ؟

لقد كان ﷺ رؤوفاً رحيماً بأمته فأخفى أحواله حتى لا تكون سُنَّة من بعده لا نستطيع أن نقوم بعشر معشارها .. صدقت يا أم المؤمنين :

(وأيكم يطيق ما كان رسول الله يستطيع)

وَاصَلَ رسول الله ﷺ صيامَ النهار مع الليل فى رمضان فأراد بعض الصحابة أن يقلدوه فشق ذلك عليهم فنهاهم ﷺ أن يواصلوا .. قالوا : إنك تواصل قال ﷺ لهم : لست كهيئتكم إنى أظل أُطعم وأسقى (البخارى) وفى رواية أخرى للإمام أحمد ومسلم (لست كأحدكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى) .

* الرسول ﷺ غفر له الله ما تقدم له من ذنبه وما تأخر وعُرج به إلى حظيرة القدس فى مقام قاب قوسين أو أدْنى إليه ولم يصل هذا المقام نبى مرسل ولا ملك مقرب وجعله ﷺ باباً للرحمة الكبرى للعالمين وأعطاه الشفاعة الكبرى التى لم يُعْطِها أحداً من قبله ثم وعده بالمقام المحمود ..

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ .

فيدعو ربه ويقول : عسى أن أكون هذا العبد ــــ إنه الأدب مع ربه فيواصل صيام الليل بالنهار .

رمضان مائدة الرحمن

كان الرسول ﷺ يفرح عندما يشرق هلال رمضان إذ أنه مائدة الرحمن على الأرض والسماء فيه تتنزل الخيرات والعطايا والملائكة وتفتح أبواب الجنان وتسلسل مردة الشياطين من الجن..

وكيف لا يفرح الرسول برمضان..

فيه بعث نبياً ورسولاً.

فيه أنزل عليه القرآن وضمَّهُ جبريل الأمين.

فيه ليلة القدر وهى خير من ألف شهر عطاء من ربك وما كان عطاء ربك محظوراً.

فيه أول نصر لجيش المسلمين فى بدر.

فيه الفتح الأكبر فى مكة وتطهير البيت من الأصنام والرجس.

فيه غفران الذنوب والبشرى بالجنة والعتق من النار.

رمضان هدية الرحمن لأمة محمد عليه الصلاة والسلام.

ويقول الرسول ﷺ:

« **لو يعلم الناس ما فى هذا الشهر من الخيرات لتمنوا أن يكون رمضان السنة كلها** » ــ البخارى ــ

ويقول ﷺ:

« **لو أُذِن للسموات والأرض أن تتكلما لقالتا: بشرى لمن صام رمضان** ».

كان الرسول ﷺ قبل أن يستقبل شهر رمضان المعظم يستعد له بمزيد من الصيام فيصوم قبله شعبان..

وعن أم المؤمنين أم سلمة زوج رسول الله ﷺ :

(أن النبى ﷺ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان) .

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :

(لم يكن النبى يصوم شهراً أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان) ــ البخارى ــ

عن أسامة بن زيد قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان .

فقال ﷺ : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ..

نعم يا رسول الله لقد سميته شَهْرَك[1] . فكيف لا تصومه تطوعاً وشكراً لله سبحانه وتعالى فما أحلى وأروع أدبك مع الله يا سيد الشاكرين .

الصيام عبادة السرّ بين العبد وربه وهو الذى أخفى عظمة ثوابها إلى يوم القيامة فكيف لنا أن نحيط بشىء عن أحوال رسول الله فى الصيام ..

يقول فضيلة الشيخ عبد الباسط القاضى الذى تلقى علومه عن الإمام محمد ماضى أبو العزائم فى كتابه حكمة أحكام الدين :

« إن صيام النفس القُدْسِية عُلُومها خفية وأسرارها لَدُنِّية فهى فى فرار إلى الحى القيوم وفوق المقامات قدراً لا يستطيع أحدٌ معها صبراً » .

صيامها فوق الإشارة فبينما هم فى فرار إلى الذات الأحدية تراهم فى فناء الفناء فإذا بك تراهم مع الخلق فى منازل الحق لا يعرفهم إلا الله وصيامهم منتهى الصيام وقيامهم منتهى القيام .

رفعت الأقلام وجفت الصحف ولا حديث بعد هذا الكلام ..

---

(١) يقول ﷺ « رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى » وفيه ليلة النصف ــ ليلة الفرقان .

لذلك رأينا أن نقتصر على الأحاديث التى وردت حول بعض ما كان يقوم به رسول الله ﷺ فى أحواله الظاهرة فى الصيام فى شهر رمضان .

عن عائشة أم المؤمنين قالت: كان رسول الله ﷺ (إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر) .

وقالت :

(كان ﷺ يجتَهد فى رمضان ما لا يجتهد فى غيره وفى العشر الأخيرة ما لا يجتهد فى غيرها) ..

وقالت :

(إذا دخل العشر الأخيرة طوى فراشه واعتزل النساء واغتسل بين الأذانين وجعل العشاء سحوراً) ..

وذلك حتى يتفرغ للعبادة ويواصلها من العشاء حتى صلاة الصبح وهذه حالة اختص بها رسول الله ﷺ وليس لنا أن نقلدها ؛ لأنه أوصانا ﷺ بتأخير السحور .

عن معاذ بن زهرة قال بَلَغَنِى أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أفطر :

« اللهم إنى لك صمت وعلى رزقك أفطرت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن النبى ﷺ يقول إذا أفطر :

« اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ إذا أفطر عند أحد أصحابه دعا لهم وقال :

« أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة الأطهار » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان إن جبريل عليه السلام كان يلقاه كل سنة فى رمضان حتى يَنْسلِخ ويعْرِض عليه ﷺ القرآن فإذا لقِيهُ جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .

وفى رواية أن أعرابياً جاء رسول الله ﷺ يسأله صدقة فقال له الرسول ما عندى شىء ولكنه ﷺ لم يُرِد أن يعود الأعرابى خالىَ الوفاض ؛ فقال له : اذهب وابتعْ علىَّ ما تريد .

الرسول يطلب من الأعرابى أن يشترى حاجته على نفقة رسول الله ويصبح دَيناً عليه ما أكرمك يا أكرم الأكرمين ورحمة رب العالمين .

كان رسول الله ﷺ يُعَجِّل بالفطور ويؤخر السحور يقول ﷺ (قال الله عز وجل : أَحَبُّ عبادى إلىَّ أعجلهم فطراً) ـــ الترمذى ـــ

وكان الرسول ﷺ يَفْطُر على تمرات فإن لم يجد فشربة ماء ثم يصلى المغرب ويوصى رسول الله ﷺ بالسحور لأنه جوف الليل تنزَّل فيه الملائكة وتفتح فيه أبواب التوبة ـــ يقول ﷺ :

« السحور بركة فلا تتركوه إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين » ـــ الشوكانى ـــ

قام رسول الله ﷺ للسحور وسأل عائشة رضى الله عنها :

أعندك شىء ؟ (أى طعام) قالت يا رسول الله ما عندنا شىء ..

فشرب ﷺ شربة ماء ثم قال الحمد لله اللهم إنى صائم .

كان القرآن أنيس وجليس رسول الله فى رمضان ، بل أستغفر الله لقد كان كُلْ حياته وأنفاسه الطاهرة فهو مائدة الرحمن والمعجزة الخالدة فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم .

هو القرآن المجيد والكتاب الحكيم والقرآن العظيم والكتاب المبين . والقرآن ذى الذكر . هو الفرقان الذى خاطب به الله سبحانه وتعالى الملائكة والإنس والجن والسموات والأرض وما فِيهِنّ .

كان جبريل عليه السلام يلقى رسول الله ﷺ فى رمضان فيدارسه القرآن ..

حببت إليه الخلوة فى رمضان فى العشر الأواخر وعن السيدة عائشة أنه اعتكف فى السنة الأخيرة قبل أن يلقى ربه عشرين يوماً فقد اشتاق ﷺ إلى الخُلْوة التى بدأها فى الغار فى رحلته مع الله .

ولقد اجتهد رسول الله أن يَحْجُب عن أمته قَدْراً من صَبْره ومجاهدته فى العبادة لا ضنا بذلك بل اشفاقاً على أمته من أن يفرض عليهم منها شيء .

تقول السيدة عائشة (كان رسول الله ليدَع العمل وهو يُحِبّ أن يعمل به خيفة أن يراه الناس فيفرض عليهم) .

ولما أقبلت الصحابة لتقليد رسول الله فى صلاته وقيامه بعد صلاة العشاء فى المسجد دخل إلى بيته ثم خرج إليهم وقال :

« لقد رأيت الذى صنعتم ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن يفرض عليكم » .

رسول الله معذرة فما كنا لنستطيع أن نوفيك شيئاً من قدرك فى رمضان المعظم وحياتك كلها كانت رمضان قياماً وصياماً وتسبيحاً وذكراً وشكراً — يقول سبحانه وتعالى فى سورة الشعراء :

﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ﴾ .

أما صيام التطوع الذى أوصى به رسول الله ﷺ فقد أفردناه بالتناول من قبل ليكون هدياً لنا ومعراجاً وطاعة لله ورسوله .

صلاة الله وسلامه وتحيته وبركاته عليك يا سيدى يا رسول الله فى حياتك وفى الملأ الأعلى وحينَ يقوم الأشهاد .

الفصل السادس

أهل الله

- الولاية ثابتة بنص القرآن والسنة .
- قصة سيدنا موسى والخضر .
- من هم أهل الله ؟

صيام أهل الله

- الذين اشتاق إليهم رسول الله .
- لماذا عشقوا صيام رمضان .
- صيام النفس المطمئنة والنفس القدسية .

مع الإمام محمد ماضى أبو العزائم في رمضان

- نبذة عنه رضى الله عنه .
- لماذا اخترته من بين أهل الله .
- من كتب الإمام رضى الله عنه .
- من مأثورات الدعاء .
- الإمام أبو العزائم فى رمضان .

أهل الله

الهدف من هذا الكتاب كما قدمت أن نتعرَّف على الصيام لا من حيث أنَّه عبادة الجوع والعطش التى قد تضيق فيها النفس عند بعضنا فينتظر عندما يفرغ منها وكأنه يتنفس الصعداء وكأنه خرج من سجن شهواته إلى دنيا الطعام والشراب مرة أخرى .

ولكن لنتعرف على الصيام كعبادة نحبها ونعشقها .. كنعمة من الله تستحق منا الشكر والثناء فنقبل على رمضان بنفس مطمئنة .

وقد قدمنا لكم ما استطعنا عن فضل الصيام وأسراره فريضة من الله كتبها علينا أو تطوعاً ونَفْلاً عن رسول الله ﷺ الذى أمرنا الله باتباعه ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ فاقتبسنا من القرآن العظيم أقوال رب العالمين ومن مشكاة النبوة العطرة وأحاديث النبى الرؤوف الرحيم ما نعتقد أنه شرح الصدور فارتوت منه النفس والروح .

وقدمنا لك فصلاً عن صيام الأنبياء وكان مسك الختام صوم رسوُل الله ﷺ .

وحتى يكتمل هذا البحث المتواضع وحتى أجيب عن الأسئلة الحائرة فى نفسى التى بدأت بها الكتاب .

* كيف كان صيام أهل الله ؟

وما كان لدىَّ شيء مُعَدٌّ أو مرجع فى متناول يدى أهتدى به ؛ ذلك لأن هؤلاء القوم أحوالهم عجيبة وأسرارهم فريدة ودرجاتهم عند الله لا أول لها ولا آخر ﴿ **هم درجات عند الله** ﴾ .

كنت كالذى يبحث عن صدفة فى بحر لُجِّىٍّ ليس له قرار ؛ ذلك لأن علومهم وهمتهم ربانية لا يحيط بها إلا علام الغيوب .

وحتى لا تأخذك الريبة أو الشك فى شأن هؤلاء البررة الصادقين وقبل أن نَستَعْرِض صفاتهم نقول لك : إنَّ الولاية ثابتة بالقرآن والسنة .

سبق فى علم الله ومشيئته أن يختار من صفوة خلقه الأنبياء والرسل وجعلهم درجات ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ والله سبحانه وتعالى خلق الخلق وكل شىء قدره تقديراً فى كنوز علمه الأزلى ، ثم اختار سبحانه وتعالى بعد ذلك أولياءه وأحبابه وورثة الأنبياء ثم الأمْثَل فالأمثل (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كل شىء فى الوجود يرجع إلى مشيئته سبحانه وتعالى ومشيئته هى من علوم الغيب فضلاً من الله بدون عِلَّة ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ ﴿ **لا يسُأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ .

الرسول ﷺ يضع لنا القاعدة تنويراً لعقولنا فيقول « **من عَمِلَ بما عَلِمَ ورثّه الله عِلْم ما لم يَعْلَمْ** » فالعمل أولاً بما فرضه الله علينا ثم تأتى بعد ذلك الحُظْوة والوراثة فيقول (العلماء ورثة الأنبياء) ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾ .

قصة موسى عليه السلام والخضر رضى الله عنه :

حتى يعلمنا الله سبحانه وتعالى أن هناك علماً ظاهراً وعلم باطناً ضرب لنا مثلاً فى القرآن الكريم ..

سأل أحدهم موسى عليه السلام ، أى الناس أعلم؟ فقال موسى « أنا » فعاتبه الله سبحانه وتعالى لأن علومه سبحانه وتعالى لا أول لها ولا آخر ﴿ **ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء** ﴾ فقال له اذهب يا موسى إلى عبد من عبادنا آتيناه من لدنّا علماً والعلم اللدنّى هو من لَدُن الله ﴿ **يختص برحمته من يشاء** ﴾ ..

أراد الله أن يعلّم موسى أن هناك علوماً شرعية ظاهرة أُخْتُصَّت بها الأنبياء والرسل وعلوماً وهْبِيَّةً لَدُنِّيه باطنة أختص الله بها من يشاء من عباده فأقامهم فى مقام الولاية الربانية .

أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يذهب إلى سيدنا الخضر فى مَجْمعَ البحرين فقال له الخضر : (عليك السلام يا موسى) فقال له سيدنا موسى (من أنبأك باسمى) فقال له سيدنا الخضر (أنبائنى الذى أرسلك إلينا) .

قال موسى للخضر عليهما السلام ﴿ **هل أتبعك على أن تُعَلِّمَنِ مما علمت رشداً** ﴾ وقبل أن تبدأ الرحلة قال له الخضر : ﴿ **إنك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً** ﴾ ومقالة الخضر من علوم الكشف الربانى فقد علم سلفاً أن موسى عليه السلام لن يصبر على علوم أهل الله الباطنة ولكنَّ موسى عليه السلام ردَّ بالأدب والامتثال لأمر الله وقال له ﴿ **ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً** ﴾ نبى ورسول من أولى العزم يقول لولى لا أعصى لك أمراً ، ولكنها المدرسة الربانية ليعلمنا الله ويرشدنا لنتعلم الأدب مع أوليائه سبحانه وتعالى .

خرق الخضر عليه السلام السفينة بعد أن اقتلع لوحاً منها ثم ضرب رأس غلام فقتله ثم أقام جداراً دون أن يأخذ عليه أجراً .

واعترض موسى عليه السلام فى كل مرة ولم يصبر على أحوال سيدنا الخضر فقال له الخضر ﴿ **هذا فراق بينى وبينك** ﴾ ثم يتأدب الخضر فى الحضرة الإلٰهية ومع رسول الله الكريم فيقول لموسى عليه السلام ﴿ **وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً** ﴾ ..

العجيب فى هذه القصة أن ما فعله الخضر عليه السلام ولم يصبر عليه نبى الله موسى هى قصة وحياة موسى عليه السلام نفسه ..

قال موسى للخضر عليهما السلام فى أمر السفينة ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها** ﴾ خاف موسى على غرق ركبان السفينة فى الوقت الذى ألقته أُمّه فى البحر طفلاً رضيعاً ولم يغرق ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليّمّ** ﴾ وما كان الصندوق الذى وضعته فيه أم موسى حافظاً لموسى من الغرق ولكنها قدرة الله وعنايته .

قال موسى للخضر عليهما السلام (أقتلت نفساً زكية بغير نفس) وموسى عليه السلام قتل قبطياً ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان** ﴾ ..

قال موسى للخضر عليهما السلام ﴿ **لو شئت لاتخذت عليه أجراً** ﴾ وموسى عليه السلام عَمِلَ وسَقَى لبنات شعيب عليه السلام بدون أجر ﴿ **فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلَيَّ من خير فقير** ﴾ وعندما دعاه نبى الله شعيب ليشكره وقدم له طعاماً رفض موسى وقال نحن بنى إسرائيل لا نأخذ أجراً عن معروف فعلناه فأجابه شعيب إننا معشر الأنبياء نكرم ضيوفنا .

هذه القصة تروى لنا كيف التقت أفعال الظاهر بأحوال الباطن وإن اختلفت المشاهد والله سبحانه وتعالى لا يسوق لنا القصص القرآنى للتسلية ولكن لنتعلم وحتى لا نعترض على حكمته ومشيئته .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **بلْ هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ (العنكبوت : ٤٩) .

ويقول نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام « **رحم الله أخى موسى لو كان صبر على صاحبه « الخضر عليه السلام » لقص الله علينا من أمرهما العجب العجاب** » .

ويقص الله علينا سبحانه وتعالى عن قصة ولى من أوليائه من الجن مع سيدنا سليمان عليه السلام عندما أراد أن يأتوا له بعرش ملكة سبأ : ﴿ **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ وقال الذى عنده علم من الكتاب ﴿ **أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾ .

ورد فى التفسير أنه آصف وهو من المؤمنين من الجن على علم باسم الله الأعظم والتفسير فيه خلاف والله أعلم .

* الولاية فى عهد رسول الله :

والولاية فى عهد رسول الله كانت قائمة ولم يحدِّث عنها ﷺ بالكثير ولكنه أودعها صدور الصفوة من الصحابة رضى الله عنهم ـ يقول الله سبحانه وتعالى ـ ﴿ **إن رَبَّك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك** ﴾ (المزمل : ٢٠) .

لم يحدِّث عنها ﷺ بل رمز لها أحياناً لأنه كان يقيم دولة أسسها على قواعد الدين وابتعد عن الأحوال الباطنة حتى لا يفتتن المسلمون فى بدء المسيرة الإسلامية .

وفى ذلك نشير إلى بعض الأحاديث وكتب السيرة ـ يقول ﷺ « **كان هناك فى الأمم محدَّثون فإن يَكُ منهم فعمر** » وكان عمر يحدِّث فى بعض الأحيان بأمور الغيب فشاهد وهو يخطب على منبر رسول الله ببصيرته جيش المسلمين على بعد آلاف الأميال فصرخ وقال (يا ساريةُ الجبلَ) أى عليك أن تتحصن بالجبل وألّا تتركه وسمع سارية نداء سيدنا عمر رضى الله عنه على هذا البعد السحيق فكانت آذانهم وعيونهم ربَّانية وليست بشرية .

ومنهم أهل الصفة الذين أجهدوا أنفسهم فى العبادة والتبتل واكتفوا بقليل من العَمل والرزق وكثير من العبادة .

ومنهم حارثة رضى الله عنه الذى أبصر بنور الله عرش ربه وأهل الجنة وأهل النار .. ومنهم أبو ذر الغفارى رضى الله عنه ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه الذى أوردت لكم عنه الحديث أن الرسول ﷺ أمده بعلوم ربانية لم يكشف إلا عن بعضها رمزاً .

ومنهم ابن مسعود الذى قطع رأس أمية بن خلف رأس الكفر فى معركة بدر فقال له الرسول « **أُذُنٌ بأذن والرأس زيادة** » وكان جبريل عليه السلام حاضراً فقال له (هذا ابن مسعود يا محمد) فقال الرسول ﷺ « **أتعْرفه يا أخى يا جبريل** » فقال جبريل عليه السلام (والله إن أهل السماء يعرفونه أكثر من أهل الأرض) ..

ويحدثنا رسول الله ﷺ عن رب العزة فى الحديث القدسى عن الولاية وحرمتها فيقول : (من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب) ..

والحديث (ما زال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ... حتى يصير عبداً ربانياً) أى أن الله يبدل صفاته فإن كانت فى الظاهر هى صفات بشرية وإنما باطنها صفات نورانية قدسية فيسمع ويرى بغير الأذن والعين التى نسمع ونرى بها .

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون

وحديث رسول الله عن شعب الإيمان الذى قال فيه « **الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه** » .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنمَّا يتذكر أولو الألباب** ﴾ .

﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ .

﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ .

﴿ **هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً** ﴾ (الكهف : ٤٤) .

من هم أهل الله ؟

بعد أن أثبتنا لك أن الولاية ثابتة بنص القرآن والسنة وأن الله يمنح أولياءه من فضله علوماً عرفانية من كنوز غيبه ﴿ **الله ولى الذين آمنوا** ﴾ وأرجوا أن تقف بحد الأدب مع الله ورسوله ولا نقول كلنا أهل لذلك فالإيمان تسع وسبعون شعبة ولكن نقول ; نحن عباده .

إن معالم وطريق السلوك إلى الولاية الربانية اختلط لدى العامة لما علق به من مظاهر يأباها الله ورسوله من المدَّعين بغير علم فليست الولاية دروشه أو كرامات أو لبس المرقَّعات فإنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده .

ما كان هذا البحث ليتسع لموضوع الولاية وإنما أردنا فقط أن نشير له حتى إذا ما دخلنا على صيام أهل الله لا يوسوس لك الشيطان أو يراودك الشك فأكون اشتركت فى أن أوقعك فى المحظور فينالنى بذلك ذنوب لا أقدر على التخلص منها إلا أن يتغمدنى الله برحمته.

* يقول الإمام الغزالى عن أهل الله :

أخص خصائصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعليم بل بالذوق والحال والمجاهدة فتتبدل صفاتهم. وقد حصل معى من العلوم التى درستها والمسالك التى سلكتها فى التفتيش عن العلوم الشرعية والعقلية إيمان يَقِيَنّى بالله تعالى وبالنُّبُوَّة واليوم الآخر وهذه هى الأصول الثلاثة للإيمان التى رسخت فى نفسى (وهذا مقام الإيمان).

أما الوصول إلى طريق اليقين فليس بترتيب الكلام ولكنه نور يقذفه الله تعالى فى الصدور وذلك النور هو مفتاح المعارف بالله ومن ذلك النور يصل القوم إلى طريق الكشف والذوق والكشف هو طريق الصوفية ومفتاحها استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾.

وكان هذا هو حال الرسول أول الأمر حينْ تبتل فى غار حراء وكان ﷺ يخلو إلى ربه ويتعبد حتى قالت العرب (إن محمداً عَشِقَ ربَّه)..

سُئِلَ أحد الصالحين عن الحديث القدسى (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى) فهل كان الله فى حاجة إلى الخلق وهو الغنى الحميد؟ فقال: خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لثلاثة أسباب:

(١) لما كانتْ قدرته أعظم من أن تدرك ـــ كان لا بد لها من مشاهدين.

(٢) ولما كانت نعمته أعظم من أن تُحْصى وتُعَدّ ـــ كان لا بدَّ لها من مستقبلين.

(٣) ولما كانت رحمته أوسع من أن تَضِيقَ ـــ كان لا بد لها من مذنبين يستغفرون الله فيغفر لهم.

ويقول الإمام محمد ماضى أبو العزائم : خلق الله الخلق لثلاثة أسباب :

(١) العبادة : ليثبت أن جميع خلقه مقهورون ومحتاجون إليه ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

(٢) عمارة الأرض لتظهر آثار قدرته ونعمته فى الملكوت ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ .

(٣) لخلافته وإقامة الحجة على الملائكة فى الملأ الأعلى ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ .

إن الكتابة عن الولاية وأهل الله تحتاج إلى الأسفار والمجلدات لأن أحوالهم ودرجاتهم لا أول لها ولا آخر ﴿ **هم درجات عند الله** ﴾ وحتى لا نسهب فى البحث فأقتبس لكم بعض فقرات عن هذه المقامات العالية يُعَرِّفها لنا الإمام محمد ماضى أبو العزائم فى كتابه (معارج المقربين) فيقول رضى الله عنه عن حكمة قوله تعالى :

« **اتقوا الله ويعلمكم الله** » : يُعَلِّمه الله علماً لا جهل بعده ويرفع درجاته فى المشاهدات ويكاشفه بأسرار الغيوب المُلْكِيَّة فتتجلى له حقائق صادقة وهو العلم الموصِّل لذاته ﴿ **وآتيناه من لدنا علماً** ﴾ ممن وفقهم الله للقيام بأحكام الشريعة بإخلاص وصدق ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾. كاشفهم بأسرار الأحكام فاطمأنت قلوبهم وقوى يقينهم وانشرحت صدورهم وامتلأت من العلم المكنون .

فلو صدقوا فى الوُدِّ غابت صفاتهم ... فقامت صفات الود للحق فى الذكر

﴿ **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** ﴾ فلم يبق لهم شىء فى الكون سوى الله ﴿ **والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ يشتاقون إليه ويتمنون الخروج من سجن الدنيا .

يقول الإمام على رضى الله عنه (لولا الأجل المحتوم لطارت أرواحهم شوقاً لله فلازموا باب الشريعة والأدب مع الله ..) .

وفى ذلك يقول الجنيد رضى الله عنه :

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظنى ما حييت
شربنا الحب كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب وما رويت

ثم يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى صفات الولى الصادق :

إن وَلِى الله هو من كان الله ورسوله ﷺ وأحكام الله غاية مقصوده فيجمع بين العلم والعمل فيقبل بكليته وأنفاسه فيما يقربه إلى الله فيكون قائماً لله بما أوجبه وطالباً لله فى كل أحواله وشئونه ويكون عمله وطعامه وشرابه ونومه قربات لله وطاعات حتى يرتقى ويتعلق قلبه بربه ويطهِّر نفسه ويزكيها ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ حتى يبلغ مقاماً تسبح فيه نفسه فى عوالم الملكوت وأن يكون مجملاً بالأخلاق الطاهرة والأعمال الصالحة فإذا أكرم الله هذا العبد كشف له حقائق الأسرار وما عليه العالم العلوى من مشاهدات فيحصل له العزيمة والشوق والوَلَهْ والمسارعة إلى مزيد من الطاعات فيتجمل بالمعانى القدسية حتى يتشبه بالملائكة الروحانيين حتى يصبح ربانياً متحلياً بأخلاق الله والقرآن فيصل إلى معية رسول الله ﷺ مواجهاً ومنجذباً للجناب العالى والملكوت وتكون أعماله وفقهه وإقباله وأنفاسه لله رب العالمين فترد عليه من حضرة المنعم الوهاب المعارف والعلوم حتى يصل إلى مقام الإنسان الكامل وهو البدل وهو مقام الوراثة لرسول الله ﷺ .

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) .

ويقول الإمام رضى الله عنه فى وصفهم :

زهدوا ففازوا بتوفيق وصحَّ لهم لِصِدْقِهم نور ما عملوا وما قالوا
هم فى جهاد وفى نُسُكٍ لأنهم على السوابق من هِمَّاتهم جالوا
سَهروُا الليالى فى ذكر يؤرقهم خوف الحلال فلما صٰابروا نالوا
والواصلون بفضل الله قربهم به إليـه وللأبـدال أحـوال
أنسوا به حيث كانوا فى معيته لم تلههم جنه نَفَساً ولا صالوا

ويقول العالم الجليل الأستاذ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ورئيس جامعة الأزهر الأسبق فى كتابه « عالم الروح » ومما أورده عن الإمام ابن القيم :

(ما نذكره فى حدود التصوّف ونوضح معناه أن المَزِيَّة الصوفية الخاصة هى مزيّة الإيمان بالله على الحب لا على الطمع فى الثواب أو الخوف من العقاب فمثلهم مثل الفرد المثالى إنما يخدم بيئته الاجتماعية بباعث من الغيرة ولا ينتظر الجزاء ، والصلة بين الصوفى وربه إنما هى صلة قائمة على المحبة لا على مجرد الطاعة فإن المحب يعطى من عنده فوق ما يؤمر به من فرائض ومن الناس من تغلبت عليه المادة السماوية فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة .

والإمام ابن القيم هو من السلف الصالح من أهل السنة إنمّا يقول هذا الكلام عن علم .

صيام أهل الله

لماذا عشق أهل الله الصيام وحياتهم كلها طاعة وقربات لله تعالى ؟

هم تجردوا من شهواتهم وطهروا قلوبهم فعشقوا ربهم فأصبحت جوارحهم سمعهم وأبصارهم ، أيديهم كلها صائمة لله تعالى فى غير رمضان .

كما قلت إن احوال هؤلاء الرجال لا يحيط بها إلا علّام الغيوب وهم الذين اشتاق إليهم رسول الله ﷺ ، فعن سيدنا أنس بن مالك أن رسول الله قال (ودِدْت أنِّى رأيت إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى) .

وفى رواية أخرى أن عمر رضى الله عنه قال : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : لا بل أنتم أصحابى تجدون على الحق معيناً وهم لا يجدون على الحق نصيراً . هُمْ لَمَّا يأتوا بعد . الرجل منهم له أجر سبعين صديقاً فقالوا (منا أو منهم يا رسول الله فقال بل منكم) وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿ **فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ هم المتحابون فى جلال الله الذين يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة . فعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله قال : « **إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش — وكلتا يديه يمين — على منابر من نور ليسوا بأنبياء أو شهداء ولا صديقين — قيل من هم — قال : هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى** » صدق رسول الله ﷺ « **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** » كانوا جلساء لله فى الدنيا لا تفارقه أنفاسهم فأجلسهم سبحانه وتعالى عن يمين العرش فى الآخرة هنيئاً لهم .

شَهِدوُا فى الصيام نعمة كبرى ومنَّة عظمى ولا يمكن أن نحيط بأحوال هؤلاء السادة الذين عاشوا على الأرض بأجسادهم فشهدوا فيها الطين الذى منه

خلقوا وعلموا أن حقيقتها الفناء وعاينوا بالكشف بنور قلوبهم الملأ الأعلى ففروا إليه بأرواحهم وأيقنوا أن حقيقته البقاء فاشتاقوا إلى ربهم فآنسهم بلطائف أنواره فكانوا له الجلساء (أنا جليس من ذكرنى) فآثروا البقاء على الفناء .

والإجابة التى سأطرحها هى للاستدلال على قدر العبارة ولا تفىٰ بحق الإشارة .

﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾

(١) فرحوا بهلال شهر رمضان فرحة شهود ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فصاموا نهاره وقاموا ليله وأقبلو على تلاوة القرآن تلاوة فكر وتدبُّر يرتشفون من أنواره واقتدوا بأعمال رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم :

أقتدى بالسراج خير البرايا   من بأهل الإيمان فى الذكر أوْلىَ

السراج هو رسول الله والمذكور هو الله سبحانه وتعالى ﴿ **الله ولى الذين آمنوا** ﴾ .

(٢) صاموا رمضان صوم الصادقين للقيام بحق الطاعات المفروضات التى فرضها سبحانه وتعالى على الذين آمنوا ويقول الإمام أبو العزائم :

واسلُكَنْ بى على الطريق المستقيم   اقتداء بالقرآن المجيد والآى تتلى

الصراط المستقيم هو الشريعة وأشار رضى الله عنه لقوله تعالى فى القرآن :

﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ﴾ .

﴿ **وأنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه** ﴾ .

(٣) فَقِهُوا سر الحديث القدسى (الصوم لى) وسبحانه وتعالى ولم يقل لنا عن عبادةٍ أخرى (إنها لى) فأقبلوا على الصيام محبة فى الله من حيث أنه سبحانه وتعالى أفردها له بالخصوصية وقال : إنها (لى) ..

يقول الإمام أبو العزائم :

ليس قصدى الصيام بلْ هو طَوْعُ أمرِ ربَىّ لرقّـِهِ المنشور

يشير رضى الله عنه إلى قوله تعالى (وكتاب مسطور فى رِقٍّ منشور) وأن الطاعة والاتباع لرسوله عنده هى جوهر الفريضه أى محبّة لله لا طلباً لثواب أو خوفاً من عقاب .

يقول سبحانه وتعالى على لسان رسوله : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ .

(٤) صاموا فى غير رمضان بجوارحهم بعد أن تطهروا وقهروا أنفسهم بالطاعة ثم أكملوا فى رمضان الصيام عن شهوة البطن والفرج فتجملوا ظاهراً وباطناً فساحت أرواحهم فى الملأ الأعلى فأصبحوا عند الله أقرب إليه من بعض ملائكته .

جمعت بصومى مشهدين تنازعاً لدى السلب والإيجاب والصوم يفنيه
وسوحى أيا روحى وسوحى تَقَرُّباً إليه بتقريب بِهِ لَكِ يَجْلِيه

يشير الإمام إلى مقتضيات الجسد البشرية وطبيعة الروح النورانية وما بينهما من نزاع إلا أن الصيام أفنى هذا التناقض فانطلقت روحه إلى مقام القرب فشهدت التجليات .

(٥) علّمهم الله سر حكمة الصيام الظاهرة والباطنة وعطاياه الربانية التى لا أول لها ولا آخر ﴿ **وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾ فأقبلوا عليه إقبال العاشقين ليرفع درجاتهم فيزداد قربهم إليه سبحانه وتعالى عُلُوّاً ومقاماً ، وتأدَّبُوا بحديث رسول الله ﷺ « **من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالنار أولى به** » .

وهبت لى العطايا لست أحصرها قد صرت من حيرتى يا قوم مجنوناً
الآن أشكره بالعجز أذكره منه بحقٍ يقين صَحَّ تمكِيناً

يشير الإمام إلى قوله سبحانه وتعالى ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ وبعد أن شاهد فضل الله ونعمه الظاهرة والباطنة مشاهدة حقيقة انجذب وتحيَّر لعجزه عن القيام بواجب الشكر له سبحانه وتعالى حتى اطمأنت نفسه وسكنت فى مقام اليقين وهو مقام المتمكنين لأوليائه سبحانه وتعالى وهذا المقام كمال التوحيد له سبحانه وتعالى.

(٦) اغترفوا من بحر التوبة فى رمضان وهم لا يتوبون عن معصية ولكن خشية من الله أن تكون طاعاتهم ناقصة أو أنفاسهم مالت ولو لحظة عن الطريق المستقيم أو انشغل قلبهم لمحة عما سوى الله والإمام أبو العزائم يقول (أتوب من توبى) أى أن توبته تحتاج إلى استمرار التوبة وهكذا وكما قالوا (حسنات الأبرار سيئات المقربين) فتأدبوا بسنة المصطفى ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم وما تأخر وقال: وإنى أستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة) وفى هذا يقول الإمام:

على فتُبْ واقبل متابى وعافنى فذنبى عظيم خفت منه وقوعاً

تأدب الإمام بقوله سبحانه وتعالى ﴿ **ثم تاب عليهم ليتوبوا** ﴾.

(٧) احتفلوا بشهر رمضان تعظيماً للقرآن الذى أُنزل فيه لأنه سر النعمة التى غشيتهم وعلموا فضل ليلة القدر فجاهدوا أنفسهم حتى كشف لهم سبحانه وتعالى الحجاب ليستقبلوا الملائكة ويردوا عليهم السلام وفقهوا سر حديث رسول الله (السحور بركة) الذى فَسَّره بعد ذلك لنا ﷺ (إن الله وملائكته يُصَلُّون على المتسحرين) فسمعت أذن قلوبهم النداء فاطمئنوا برضاء الرب. يقول سبحانه وتعالى ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾.

أيا ليل قدر أشهِدى القلب ساطعاً من العفو يمحو ظلمة الجسم والإثم
إلٰهى أسِمِعنِّى السلام بها أرى غوامض أسرار الحقائق فى قومى
أتت ليلة الإشراق تنبى بقدرها ليشهدها الأفراد من خيرة القوم

يشير إلى اسم الله سبحانه وتعالى (العَفُوّ) وهو فى المعنى غير الغفور ؛ لأن الغفور يغفر الذنب أما العفوّ يمحو الذنوب يبدلها بحسنات ﴿ **أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ وفى ذلك محو لظلمة الجسم فيصبح العبد ربانياً يرى بنور الله ويشهد غوامض وأسرار الحقائق فى ليلة القدر .

(٨) علموا أن الطاعة تحتاج إلى استغفار خوفاً من أن يشهدوا لأنفسهم فضلاً فى أعمالهم فشدوا الوثاق فى قيام الليل وتلاوة القرآن بالتفكر والتدبُّر وأنهم فى حاجة إلى الشفاعة يوم القيامة لأن طاعاتهم لن تكون باب الوصول إلى الرضوان إلا بفضل الله سبحانه وتعالى .

يقول النبى ﷺ « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضله** » وقال « **القرآن والصيام يشفعان يوم القيامة** » وهكذا كان أدب أهل الله مع الله ورسوله .

(٩) عرفوا أن الصيام هو عبادة السر ؛ لأنه سر بين العبد وربه فاشتاقوا إلى مقام السر وهو بحر العلوم العرفانية فشربوا منه حتى لا يشهدوا فى عالم الملك والملكوت سواه ..

وقال فضيلة الشيخ عبد الباسط القاضى عن صيام السر فى كتابه (حكمة أحكام الدين) صيام السر فى كتمانه إلا إذا اقتضت الضرورة لمنفعة أو درء مضرة للأخيار من المؤمنين . وصومهم فوق علم كل عليم إلا من أتى الله بقلب سليم وحصينه التضرع والدعاء . وطعامه ذل العبودية . وشرابه القيام على أعتاب الربوبية . وصيامه لا حولى ولا قوة إلا بالله . وقال كما أن الصيام له حكمة ظاهرة وحكمة باطنة فإن لكل سر باطن ولكل باطن غيب والغيوب لها خفاء فى عالم الأسماء والصفات فسبحان الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية .

وربما يشير فضيلته إلى أن صيام السر هو الترقى الدائم وتنزل الفيوضات الإلٰهية ومقام السر هو فوق اليقين لأنه مقام ﴿ **وأنتم الأعلون** ﴾

يقول الإمام أبو العزائم :

أصوم وعن علمى وكشف مشاهدى ... لأننى بالله القريب صفا أنسى
فنيت وعن نفسى خفيت وعن أنا ... فلم يبق إلا الوجه والكون كالمنسى

وكان الإمام رضى الله عنه يقول :

إنَّه فنى واختفى حتى عن نفسه وأصبح الكون عنده نسياً منسياً وعن شهود عباداته كلها وعن تجليات عالم الملك والملكوت ولم يبق إلا وجه الله سبحانه وتعالى أمامه ..

وهذا منتهى الصيام ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** ﴾ .

ويقول الإمام الغزالى فى صيام أهل الله :

الصائمون بحق أشرقت قلوبهم بأنوار الإنس وارتقت أرواحهم إلى معارج القرب . قلوبهم سماوية وأرواحهم عرشية ونفوسهم سائحة فى بحر السر .

ويعدد العارف بالله الشيخ عبد الباسط القاضى مقامات الصيام فى كتابه (حكمة أحكام الدين) والتى تلقاها عن أستاذه الإمام محمد ماضى أبو العزائم فى ثلاثين مقاماً أولها صيام النفس الحيوانية وهى أن ترى الإنسان حال غضبه يثور ويرفس برجله كالحمار ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل** ﴾ ويقول الرسول « **رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش** » ونهاية هذه المقامات صيام النفس القدسية .

ونقتبس من هذا الكتاب بعض السطور والإشارات التى ترمز لصيام أهل الله :

صيام النفس المطمئنة : هى التى سكنت لأمر الله واطمأنت لطاعته وداومت على ذكره وشكره وأقبلت على عبادة الله بإخلاص حتى ناداها سبحانه وتعالى نداء الحنان وألبسها ثوب الإحسان ﴿ **فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** ﴾ سكنت عند أحكام الحدود لا تتعداها وتركت ما فى الوجود حتى تنعم بمقام الشهود فتنتقل إلى مزيد من الترقى فهربت من الأكوان إلى جنة العرفان ﴿ **فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدُناً علماً** ﴾ .

صيام النفس القدسية : علومها خفية وأسرارها لدُنِّيةً وأوصافها ربانية (حتى يكون عبداً ربانياً) فهو فوق المقامات قدراً ولا يستطيع أحد معها صبراً . قال سيدنا الخضر لموسى عليه السلام : ﴿ **إنك لن تستطيع معى صبراً** ﴾ هم فى حالة فرار إلى الذات الأحدية فلا يرون إلا نورها رؤية تنزيه وتقديس وحالهم رهبة من الله وخشية ورغبة ورجاء وبينما هم فى مقام فناء الفناء فإذ بك تراهم فى الخلق فى منازل الحق ولا يعرف حالهم إلا الله وصيامهم منتهى القيام لأنه لا نهاية للصيام لأنه من صفات الملك القدوس السلام ؛ لذلك ترى الإمام (أبو العزائم) يقول فى بعض قصائده (أصوم عن صومى) ..

ويقولُ رضى الله عنه :

فلو صدقوا فى الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق فى الذكر

أى لو صدقوا فى محبتهم لله وقاموا بحقوق العبودية بدَّل سبحانه وتعالى صفاتهم البشرية بصفات وأخلاق ربانية فى الحديث القدسى (فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به) .

ويقول السهروردى :

أفناهموا عنهم وقد كُشِفَت لَهُم ـ حُجُب البقا فتلاشَتْ الأرواح

والإمام أبو العزائم قدس الله سره يقول لك أنت آمنت بالغيب والله سبحانه وتعالى هو سر الغيب الأعظم وهؤلاء القوم اختارهم بمشيئته فى عالم الغيب وأخفى علومهم ومقاماتهم فى صدورهم حتى لا تفتتن بهم وفى ذلك رحمة عظمى ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ .

ويقول الإمام أبو العزائم مشيراً إلى علوم الغيب :

شىء ولا شىء فافهم به عليه الدليل .

هذا مقام اندهاش عنه الفحول تحول .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذى يؤمنون بالغيب** ﴾ .

ويصف الإمام أبو العزائم فى إحدى حكمة قلوب هؤلاء الرجال فيقول :

قلب المؤمن هو اللوح المحفوظ وقلب المحسن هو البيت المعمور
وقلب الموقن هو بيت الرب

لذلك يقول ﷺ « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » فالمؤمن يرى بنور قلبه والكافر قلبه فى عمى وظلام — يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ﴾ .

أمَّا الذين سبقت لهم الحُسْنى يحدِّث عنهم الرسول ﷺ عن رب العزة (ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عَبْدِى المؤمن) ويقول عن الصحابى الجليل حارثة (هذا عبدٌ نوَّر الله قلبه) .

مع الإمام محمد أبو العزائم
فى رمضان المعظم

ترددت تَرَدُّدِى فى أن أكتب عن الإمام محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه وقدس سره فى هذا المقام .

إن أعماله وأقواله وأحواله رضى الله عنه مثلاً فريداً لأهل الله والولى الذى عشق ربه واتّبع سنة رسوله ﷺ وتأدب بأخلاقه ..

﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .

أخشى أن أقع فى المحظور فلا أعطى للرجل حقاً أو أنتقص منه قدراً أو تصور لى نفسى خيالاً لا يحقق نفعاً .

كان الإمام رضى الله عنه ينهى تلاميذه أن يكشفوا عن بعض علومه العرفانية التى اختص بها بعض خاصة خاصته فى الخلْوة أو أن يكشفوا عن معانى الأسرار والأحوال التى أشار إليها عن مقاماته فى بعض مواجيده . وقال رضى الله عنه فى ذلك :

خذوا من عباراتى بقدر معانيها   وخلُّوا لأهل الوجد ذوق معانيها
ففيها من الأسرار ما ليس يكشفن   وقد خفيت أسرارها ومباديها
وليس لسانى ناطق بعبارتى   ولكنها نور يفاض بباريها

لذلك التزم تلاميذ الإمام وتأدبوا بتوجيهاته وامتنعوا عن الخوض فى شرح مواجيده أو العبارات العرفانية التى جاءت فى بعض أوراده وذلك أن الإمام

رضى الله عنه قال لو كشف عن بعض خواص الولى لافتتن به الناس فغفلوا وهذا ما حدث مع بعض شيعة الإمام على كرم الله وجهه فوقعوا فى النفاق والعياذ بالله وقد حدثنا حارثة رضى الله عنه عندما قال له الرسول ﷺ (عرفت فالزم) وكررها ﷺ ثلاث مرات أى لا تحدث بها الناس.

تأدب الإمام أبو العزائم بأخلاق صحابة رسول الله من أهل الصُّفَّة مثل سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه.

وقد حدث للحلاج رضى الله عنه عندما كشف عن بعض مقاماته وفضح سراً لا يذاع فَقُتِل رضى الله عنه بسيف الشريعة وإن كان لم يتجاوز علوم الحقيقة التى لم تتحملها عقول العامة.

وفى هذا المعنى يقول السهروردى رضى الله عنه:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

* قلت لنفسى، ربما يكون ذلك واجباً فى حياة الإمام نفسه حتى لايُفْتتنَ به الناس، أما وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى من نصف قرن فقد أصبح لزاماً أن تقدم من علومه ما هو مكتوب ومسطور بما ينفع أهل الإيمان والإحسان كلٌّ على قدره وأن نلتزم إلتوسط فى المقال بقدر معانى ومظاهر كلامه كما قال رضى الله عنه لأن التَّذوُّق نور يقذفه الله فى قلوب المؤمنين ولا أزكى نفسى أو ادعى لها نصيباً من ذلك وفى ذلك يقول الإمام فى إحدى حكمه:

«والعبارة لا تَكشِفُ الحقيقة بل هى مجرد تَصَوُّر للتقريب ولا تُكْشف الحقيقة إلا لمن شَهِدَها».

الإمام محمد ماضى أبو العزائم فى الصيام

لم يكن لى شرف الجلوس إليه رضى الله عنه فى حياته ولم أقدمه انحيازاً وعُلُوّاً على أحد فقد نهى عن ذلك ولكنى اشتقت إليه من كتبه وعلومه التى يَسَّر فيها لنا العبادات وكشف لنا عن حلاوتها والتى كلما انتهلت منها كم عرفت قدر جهلى. فقد كشف لنا أسرار العبادات والصيام ظاهرها وباطنها ولم تشغله

التجليات وأنوار الكشف التى أفاض الله عليه بها من أن يقدِّم لنا فى مكتبة إسلامية جامعة ومنظومات من فيوضات الله سبحانه وتعالى عليه.

لم يكن رضى الله عنه شيخاً لطريقة أو ساعياً وراء الكرامات فيقول فى حكمة له:

« رفعة الدرجات لا تكون بالكرامات وإنما بترك الآفات » أى الفرار من الشهوات الظاهرة والباطنة. لم يكن شيخاً لطريقة وإنما كان معلماً ومربياً ومرشداً حتى وصل إلى مقام الوراثة لعلوم رسول الله ﷺ (العلماء ورثة الأنبياء) وحق فيه قول رسولنا الكريم (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يَجدِّد دينها).

كان رضى الله عنه إمام هذا العصر وفى سطور قليلة نقول:

(١) فسَّر القرآن العظيم وشرحه شرحاً كاملاً وشاملاً فبين المُفَصَّل بلُغةِ العصر وشرح الأحكام والحدود والمحكم والمتشابه والحلال والحرام وأظهر حكمة القصص القرآنى والأمثال واستند إلى الصحيح من حديث رسول الله وصحابته الكرام ويكفى أن نعرف أن تفسير سورة البقرة الذى نشرته جماعة آل العزائم طُبِع فى تسعمائة صفحة من القطع المتوسط ولا أعتقد أن غيره من المعاصرين قد قام بهذا العمل ويحق أن نقول: إنه إمام العصر ومن ورثة علوم رسول الله ﷺ.

(٢) كتب أكثر من عشرين كتاباً فى العبادات وعلوم الشريعة والحقيقة وأحوال يوم القيامة والنشأة الثانية وهو أول من ألف أول مسرحية منذ سبعين عاماً أبطالها العقل والنفس والروح والجسد والشيطان سماها محكمة الصلح الكبرى وصاغها فى أسلوب بليغ وممتع.

(٣) له الالآف من الدعاء المأثور والحكم العرفانية والمواجيد المنظومة التى تشير معانيها إلى الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية. وكان يرتَجِل رضى الله عنه كل يوم قصيدة فى علم من العلوم أو عبادة من العبادات وعندما يشير إلى فضل الله عليه فى بعض مشاهداته يعود ويتذلل ويستغفر الله سبحانه وتعالى

ويدعو لأهله وإخوانه وهذا هو التواضع فلم يتفاخر رضى الله عنه على السابقين من أولياء الله كما فعل غيره .

(٤) اقتدى رضى الله عنه برسول الله قولاً وعملاً ودعا إلى الأُخُوَّة والمحبة فى الله ويقول : إنما أسس الدين على المحبة ولولاها ما باع المهاجرون والأنصار أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله .

(٥) كان رضى الله عنه عالمياً فنشر علومه فى السودان وأنشأ هناك أول مكتبة إسلامية فى ظل الاحتلال البريطانى ودعا إلى مقاومة الاستعمار فى مصر والسودان حتى ناله الضرر والأذى من أعوان الاستعمار وكتب إلى رواد الأمة الإسلامية فى الحجاز والهند وتركيا وليبيا وعقد المؤتمرات الدولية ليتشاور معهم فى أمر الأمة الإسلامية وعلاج شئونها .

(٦) لم يجلس أمام باب حاكم أو سلطان واعتزل العمل الحكومى ووظائف التعليم وتفرغ للدعوةالإسلامية وأصدر المجلة الإسلامية (المدينة المنورة) وكتب المقالات وناقش المستشرقين الذين جاءوا إليه من كل مكان وأنشأ مطبعة حتى يأكل من عمل يده كما فعل السابقون من أهل الله .

ويقول الإمام أبو العزائم عن التراث الإسلامى الوفير الذى خلّفه والذى لم ينشر منه حتى الآن أكثر من ربعه يقول : (فلا وربك لى فضل فيما كتبت أو نشرت أو نقلت حتى أفاخر به أو أنتظر عليه أجراً بل هى عناية الله سبقت وهدايته لَحِقَت فشكراً على ما أعان ووفّق . إنى عبد الله المنكسر وما وفقنى الله له من الهدى والحق ومتابعة السنة والكتاب هو من فضل الله تعالى وإمداداته الربانية ونظرةُ ود من رسول الله ﷺ وإن حصل شىء من زلة أو نسيان فمن نفسى وطبعى البشرى وأرجو من اطلع على كتبى فوجد ما يظن أنه يخالف أرجو أن يتروى فعسى أن يظهر له وجه التأويل وأن يسأل الله لى المغفرة) .

ما أعظم أدبك يا أبا العزائم وأحسن تواضعك فقد تربيت فى ظلال القرآن وسنة رسول الله ﷺ ؛ لذلك لم أقدمه من المعاصرين من أهل الله رضى الله عنهم إلا مثلاً لصيام أهل الله فى رمضان .

وقد وجدت فى أقوال المعاصرين عن الإمام محمد ماضى (أبو العزائم) من أعلام الدين والشخصيات العامة الثناء والمديح وإن كنا نشكرهم جميعاً لما قالوا إلا أننا نرى أن أعماله هى البرهان الحى لإلقاء بعض الأضواء عليه رضى الله عنه وقدس سره .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ويَرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ﴾ .

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ ﴿ اتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ .

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ .

وكما قلت إنى لم أجد من بين المعاصرين من أهل الله رضى الله عنهم من أفاض فى الصيام وتغنى به بكلام منثور ومنظوم مثل الإمام (أبو العزائم) .

وفيما يلى ننقل إليكم بعض مقتطفات من أعماله التى هى من فضل الله بإيجاز شديد والذى أرجو ألا يكون الاختصار قد انتقص من جوهرها .

أولاً : كتبه

كتب الإمام عن الصيام فى ستة كتب بالإضافة إلى ما كتبه فى كتابه أسرار القرآن والذى أشرت إليه فى موضع آخر . وقد يكون له أعمال أخرى فى كتب لم تطبع ولم أهتد إليها .

ثانياً : الدعاء المأثور

ما ترك الإمام يوماً أو مناسبة إلا ابتهل إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء فى خشية واضطرار العابدين وسوف أقتبس لكم من بعض مأثورات الدعاء له فى رمضان إن شاء الله .

ثالثاً : الحكم

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾ ويقول المصطفى ﷺ « **الحكمة ضالة المؤمن** » وله من الحكم الكثير وقد اخترت قطرات منها .

رابعاً : المواجيد الرمضانية

للإمام رضى الله عنه أكثر من عشرة آلاف قصيدة تتراوح بين البيت الواحد إلى المائة بيت كان يرتجلها حال الذكر أو عندما يفيض الله عليه بها وقد تكون فى بعضها بعض الأخطاء فى الوزن أو القافية ذلك لأن تلاميذه كانوا ينقلون عنه ولا يستطيعون ملاحقته فى الكتابة وكانوا بعد ذلك يصحح بعضهم لبعض ليستكملوا الأبيات أو الكلمات بقدر الإمكان .

من كتب الإمام محمد ماضى أبو العزائم

تحدث الإمام محمد ماضى أبو العزائم قدس الله سره عن الصيام فى أكثر من كتاب نشرت منذ عام ١٩١٢ وأعيد طبعها أكثر من مرة .

تحدَّث فى بعضها عن الصيام من حيث علوم الشريعة والأحكام والأركان وفى بعضها من حيث الفَضْل والأسرار وصيام السلف الصالح . وفى بعضها الآخر جمع رضى الله عنه علوم الشريعة وعلوم الحقيقة .

ومن كتبه رضى الله عنه التى وردت فيها أبواب عن الصيام :

(١) كتاب أصول الوصول فى العبادات .

(٢) صيام أهل المدينة (السلف الصالح) .

(٣) معارج المقربين .

(٤) التائبون .

(٥) العابدون .

(٦) الإسلام دين الله .

(٧) الطهور المدار على قلوب الأبرار .

وسوف ننقل لكم بعض ما ورد فى هذه الكتب موجزاً من علوم عرفانية تكشف لنا عن بعض جوانب فضل الصيام ومشاهد أهل الله ودرجات الصائمين (هم درجات عند ربهم) .

من كتاب صيام أهل المدينة :

قال رضى الله عنه إنَّ الله سبحانه وتعالى فرض الصيام رحمة بالعباد ليرفع درجاتهم ويطهِّر أجسادهم ويزكى نفوسهم وجَمعَ ذلك فى خمس حكم ..

* الحكمة الشرعية : وهى التطهر والتقرب لله بنعمة الشكر (ولعلكم تشكرون) .

* حكمة العبادة : القيام بواجبات الطاعة فتتحقق أنك عبد مملوك لله .

* حكمة نورانية : التشبيه بالملأ الأعلى من الملائكة .

* حكمة الاتّباع : الاقتداء برسول الله ﷺ فى أعمال الصيام .

* حكمة المجاهدة : التجرُّد من شهوات الجوارح فيكون الإنسان أفضل عند الله من بعض ملائكته .

ثم قسم رضى الله عنه درجات الصيام إلى : صوم العامة وصوم الخاصة ومنهم :

* **صوم المقربين** : هؤلاء أخلصوا لذات الله فقد صاموا بجوارحهم الست فى غير رمضان ثم صاموا فى رمضان عن شهوة البطن والفرج .

* **صوم المحبوبين** : عَلِمَ هؤلاء أن رمضان شهر الله فظهرت لهم حكمة العبادة فى هذا الشهر والتشبه بالملأ الأعلى ، عالم الأرواح النورانية المجردة من العناصر السفلية والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فساحوا بأرواحهم فى الملكوت حضوراً واستحضاراً وتجردوا من الباطل وتخلقوا بأخلاق الله سبحانه وتعالى واستحضروا عظمته فآنسهم بجماله ففروا عمن سواه وأقبلوا عليه سبحانه فكانوا فى ضيافته على بساط الأنس والكرامة وكشفت لهم حقيقة الدنيا والآخرة فزهدوا فيها ففارقوا ما يفنى وسارعوا إلى ما يبقى طمعاً فى شهود أنوار وجهه الكريم .

* **صوم الصوفية** : هو لغة الصمت عندهم وصولة الروح على الجوارح تجعلها تجانسها فتجاهد حتى تمنح قبساً من الملكوت الأعلى تنال به الرفعة من أسفل سافلين إلى المقام الذى أكرمها ربها به فتكون الجوارح بها صائمة وهذا هو الجهاد الأكبر . والصيام عندهم خرق العادة من الطبع الآدمى حتى يبشرهم الله بالمعية ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ ومعناه الصائمون وعليك فى أول الشهر أن تستعين بالله وقل (لا حول ولا قوة إلا بالله) .

وعليك أن تعمر أوقات رمضان بالطاعات المقربة لله ومنها :

(١) السعى إلى الرزق والمعاش بالحلال .

(٢) تلاوة القرآن .

(٣) الإقبال على مجالس العلم النافع .

(٤) أعمال البر والإصلاح بين الناس .

(٥) إدخال السرور على الفقراء من طعام أو كساء أو صدقة .

(٦) بر الوالدين وصلة الرحم .

(٧) قيام الليل والتجهُّد وذكر الله وأفضل الذكر تلاوة القرآن .

(٨) مجالسة الصالحين وزيارة المتقين والإخوان المؤمنين .

ونبهنا الإمام إلى الأوقات التى يستحب فيها الاجتهاد فى العبادة والدعاء وهى :

(١) العشر الأواخر من رمضان وخاصة الليالى الفردية ففيها ليلة القدر ومن صلى العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ نصيبه منها .

(٢) ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان فى السابع عشر والثامن عشر من رمضان وهى ليلة بدر التى أكرم فيها الله رسوله ﷺ والمؤمنين بالنصر .

(٣) يوم الجمعه من كل أسبوع فإنَّه خير الأيام وأفضلها عند الله .

* ليلة القدر :

عظمَّها الله سبحانه وتعالى بإنزال القرآن فيها والملائكة تنزل إلى الأرض بسلام على المؤمنين . قال رسول الله ﷺ « **يارب إن أمتى أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً** » فبشره سبحانه وتعالى بهذه الليلة المباركة وفاءاً بوعده له ﷺ ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ وجعل الله سبحانه وتعالى فى هذه الليلة عطايا وخيرات وأسراراً لم يكاشف بها إلا عباده الذين زكَّى نفوسهم حتى صارت بيتاً للرب فكشف لهم نزول الملائكة والروح وأشهدهم أنوارها وأن الملائكة تتنزل طوائف حتى تضيق بهم الأرض من كثرتهم .

وحكمة نزول الملائكة: تشريفهم بالمؤمنين وتشريف المؤمنين بهم بعد ان تبدلت أوصافهم من النفس الحيوانية إلى النفس الملكية فالله سبحانه وتعالى يفاخر بهم الملائكة وكأنه يقول لهم: انظروا الذين خلقتهم من الطين والماء المهين كيف اتصلوا بالله اتصالاً. وكأن الله يذكر ملائكته بكلامهم عندما أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام فقالوا: ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ فأرسلهم الله سبحانه وتعالى يقرئُون عباده السلام ومن أهل الله من يشهد الملائكة حال نزولهم يقول المصطفى ﷺ « **العلماء ورثة الأنبياء** » لأن النفس إذا أصبحت ملكية تطهرت الجوارح فيرى القلب السر السارى والصفات الظاهرة والباطنة ويرى من أسرار الغيب ما لا يباح، لذلك أرسل الله الملائكة ليعلّمَهُم أن لله أسراراً فى خلقه وحكمة تخفى عليهم ﴿ **ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض** ﴾.

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بسلام وأمان وتسلم على المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها نعمة ورحمة لأمة محمد ﷺ. يقول الإمام أبو العزائم فى ليلة القدر:

تجلّى لنا بجمالك الربّانى ... تنزّل لنا بالروح والريحان
بوجهك آنسنا تقبل آلهنا ... دعاء من المضطر واللهفان
أيا ظاهراً بالفضل والعفو والرضا ... بليلة قدر مصدر الغفران
وها هى أنوار التجلى مضيئة ... لأهل الصفا والمخلص الروحانى
تنزلت الأملاك تَتْلُوُ تحية ... من الله بالبشرى وبالرضوان
سلام من الأملاك من لاح نورهم ... من الذاكرين الله بالإيقان

ومن قوله رضى الله عنه فى قصيدة أخرى يتغنى بليلة القدر يقول:

من البدء ترجم لى الغيوب أيا قلبى ... لأشهد سر القدر من غير ما حجب
لتظهر لى الآيات كشفاً بلا خفا ... عن الحكمة الأولى بأسرارها تنبى
نعم هى مشكاة وفيها زجاجة ... ومصباحها القرآن من غير ما ريب
وأول خلق الله قبضة نوره ... وطلبتنا العظمى لدى الحب والجذب

وما أنزل القرآن إلا بليلة | لما عاهدوا الأفراد قد ظهرت صوبى
بليلة قدر أشرق النور أولاً | لأملاكه والأنبياء بلا شوب
هى المثل الأعلى لدى السر والخفا | هى النور والبرهان فضلاً بلا كسب
أيا ليلة القدر التى بَيَّنَتْ لنا | بنص قرآنٍ عن كمالاتها تُنبِى .

هذه القصيدة قالها الإمام أبو العزائم فى ليلة الأثنين ٢٧ من رمضان ١٣٣٥ هجرية وهى إشارات عالية تدل على مقام الإمام وبما أكرمه الله سبحانه وتعالى ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ وأشرحها على قدر التذوق لهذا العلم الربانى ونقول وبالله التوفيق حسب ترتيب الأبيات :

(١) يشير الإمام إلى أن الله سبحانه وتعالى قد كشف له بقلبه مشاهد يوم البدء بسر.قوله تعالى ﴿ **وإذ أخذ ربُّك من بنى آدم من ظهورهم ذريتَهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا** ﴾ فصفت روحه وظهرت لها آيات وأسرار هذه الليلة المباركة وحكمتها والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب .

(٢) يشير الإمام إلى الآية الكريمة ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة** ﴾ فالمشكاةُ هى الحقيقة المحمدية والزجاجة هى قلب النبى ﷺ الذى أضاء بنور القرآن العظيم .

(٣) يشير إلى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ « **أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر** » وأن مطلب الإمام هو الجذب نحو هذا النور ليفيض الله عليه من العلوم والأسرار المحمدية .

(٤) يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ ولما كان القرآن هو كلام الله وهو أزلى قديم وأن الله سبحانه وتعالى قد أخذ العهد والميثاق من الأنبياء لرسول الله ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** ﴾ فأشرق نوره ﷺ للملائكة والأنبياء فى هذه الليلة المباركة من غير شك أو ريب .

(٥) يشير إلى الآية : ﴿ **يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً** ﴾ .

والبرهان هو القرآن والنور هو الحقيقة المحمدية ولله المثل الأعلى فهو ﷺ المثل الأعلى فى كمال الصفات والأخلاق الربانية من غير علة وإنما بفضله سبحانه وتعالى والدليل على ذلك ما بينه القرآن لنا من فضل ليلة القدر وكمالاتها له ولأمته ﷺ والله أعلم .

من كتاب معارج المقربين :

إن صوم أهل الخصوص : حفظ الجوارح الست : غض البصر . وصون السمع عن الاستماع إلى محرم أو زور وحفظ اللسان عن اللغو والكذب والغيبة ومراعاة القلب من الأفكار والهم والتمنى وكف اليد عن البطش وحبس الرِّجْل عن السعى إلى ما لم يؤمر به ..

فمن صام بجوارحه الست عن الآثام كمن غسل كل عضو ثلاثاً فقد جمع بين الفرض والفضل فهو من المحسنين وهو صوم الممدوحين بالذكر فى الكتاب بأولى الألباب .

ومن فضائل الصوم :

(١) حفظ الجوارح من الشبهات .

(٢) الإكثار من ذكر الله تعالى والإقلال من ذكر الخلق ولا تجادل أو تخاصم .

(٣) عدم الاهتمام بطعام الإفطار قبل حلول الوقت وأن ترضى باليسير مما قسم الله لتفطر عليه .

(٤) تعجيل الفطر وتأخير السحور والاقتداء برسول الله ﷺ فى أعماله فى شهر رمضان .

وليس المراد من الصيام الجوع والعطش ولكن مجانبة الآثام ـــ يقول رسول الله ﷺ « **من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يترك طعامه وشرابه** » .

ومن كتاب « التائبون » :

الصيام جهاد الجسم وسياحة العقل ومشاهدة الروح فمن صام بتلك الحقائق فقد نفذ من أقطار السموات والأرض بسلطان الحق.

والصيام تجرد من الإنسانية بعد التجرد من الحيوانيه لقوله تعالى ﴿ **إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً** ﴾.

والصيام لغة الصمت وهو عند الصوفية صولة الروح على الجوارح، صولة تجعلها تجانسها مجانسة ما، فتجاهد بها من حيث ما تقتضيه الروح في حقيقتها وبذلك تمنح الجوارح قبساً من الملكوت الأعلى تنال به الرفعة، وهذا الصائم يُكرِّمه الله سبحانه وتعالى بدخول جنة الرضا متنعماً بأسرارها بعد أن أقامه في محاب الله ومراضيه وهذا هو الجهاد الأكبر، جهاد الحس والنفس والعقل والروح.

ومعنى قوله ﷺ « **الصيام جُنَّة** » أى وقاية. فليس بصائم من وقع فيما حُرِّم عليه وعلامة قبول الصائم التخلق بأخلاق الله أو بأخلاق عالم الطهر الروحانى من عمار الملكوت والصيام سياحة عظمى — قال تعالى ﴿ **السائحون** ﴾ بمعنى الصائمون.

وبذلك يكون الصائم مع الله ﴿ **ان الله مع الصابرين** ﴾ ومن معناها الصائمون فجاهد بنفسك فى الصيام لتفوز بمعية الله وبقدر نزوع النفس وقهرها تكون رفعتك وقربك.

يقول الإمام :

يجرد صومى الرسم والروح عندها — تليح لعقلى رتبة الإلهام
يجرد عقلى التوب من ظل رسمه — ونفخة روح القدس كشف مقامى
ففى الصوم تركى مقتضى آدميتى — وفى التوب تركى لازم الأجسام
فصوم وتوب يجمعان ضيا الهدى — فتجمع محبوب على العلام

يقول الإمام :

إنَّ الصيام يجرد الجسم الإنسانى من مقتضيات بشريته كذلك تجرد التوبة عقله من الملابسات والأوهام حتى تسطع أنوار روح القدس على العقل فتكشف له عن سر مقامه ولما كان الصوم والتوب يجتمعان فى معنى الترك فبذلك يخرج الإنسان من شهوات الآدمية فيشع على قلب العبد المؤمن ضياء الهدى القرآنى فيرتقى إلى القرب وإلى الله فى مقام الجمع لسابق المحبة بسر قوله تعالى ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ .

من كتاب « العابدون » :

النفس بطبيعتها تميل إلى الحرص والأمل والحماقة والخيانة وكل القوى الحيوانية .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل** ﴾ فيخرج الإنسان عن دائرة حكمة خلقه ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ لذلك كان الصيام قهر الشهوات الحيوانية وتزكية للنفس وشفاء لها من أمراضها وصفاء لجوهرها حتى تتجمل بكمالها الحق الذى يصل بها إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر تخدمها الملائكة .

وفيه تتحقق العبادة الظاهرة والباطنة :

(١) عبادة من حيث القيام بواجب الفريضة .

(٢) شفاء للنفس من حيث يعيد إليها طهارتها وصحتها .

(٣) تزكية للنفس من حيث تجردها من التطرف عن الجادة ويعيدها للفضيلة .

(٤) تجميل النفس بالرحمة والصبر والبر والإحسان والتواضع .

(٥) مجاهدة : بحبس النفس عن شهواتها فى ذات الله .

(٦) التشبيه بالروحانين من عمار الملأ الأعلى .

(٧) قهر لعدوّ الله وعدوّ الإنسان وهو الشيطان الذى لا يقوى إلا بواسطة الشهوات يقول الرسول ﷺ « **إنَّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فَضَيِّقُوا مجاريه بالجوع** » .

والصوم عبادة السر لا يُطْلِع عليه أحد غير الله تعالى ودرجات أسراره ثلاثة :

(١) أدناها كف الجوارح عن المكاره وهذا صوم العموم .

(٢) صوم الجوارح من سائر الأعضاء عن محارم الله وهذا صوم المؤمنين .

(٣) صيانة القلب والفكر فتجعله مقصوراً على ذكر الله عز وجل . وهذا صوم الخاصة من أهل الإحسان .

وأن يكون الصائم متحققاً بأركان الشريعة على وجهها الأكمل ويكون فى مقام المراقبة مع الله حتى لا يقع فى الغفلة فيفسد عمله وحتى يكون صومه خالصاً لله .

﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ (الزمر : ٣)

الدعاء عماد الدين

يقول رسول الله ﷺ « **الدُّعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونُور السموات والأرض** » وأحوال الدعاء ثلاثة :

(١) الدعاء لمسألة ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب** ﴾ . ﴿ **ادعُوا ربكم تَضرُّعاً وخُفْيَةً** ﴾ (الأعراف : ٥٥) .

(٢) الدعاء للذكر والشكر والتوبة ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ .

(٣) الدعاء للوصل والقرب . يقول سبحانه وتعالى ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً** ﴾ .

وإذا كان الدعاء هو العبادة وسلاح المؤمن فلنا فى رسول الله ﷺ القدوة والأسوة الحسنة وهو الذى لو سأل ربه أن يحيل له جبال مكة ذهباً لكانت ، ولكنه ﷺ المؤدب مع ربه والذى تحلى بأخلاق الله العظيمة أراد أن يُعَلمنا الأدب فى الاتصال بالله وسؤاله ــ يقول سبحانه وتعالى ﴿ **قد نَرى تقلُّب وَجهِك فى السماء فَلَنُولِّينكَ قِبلَة ترضاها** ﴾ .

وإذا كانت أبواب الدعاء لا يحجبها عنك آناء الليل وأطراف النهار ومتى رفعت يديك بأدب العبودية وصفاء القلب ــ يقول لك سبحانه وتعالى ﴿ **لبيك عبدى سَلْ ما شئت** ﴾ .

إلاَّ أن شهر رمضان الذى شرفه الله بالقرآن وما أوردناه من آيات وأحاديث شريفة فهو شهر الدعاء والمغفرة والتوبة ، وقد اقتدى الإمام أبو العزائم بجدِّه المصطفى ﷺ فكان يرتجل الدعاء فى حال الذكر أو فى الخلوة أو بعد الصلاة المكتوبة فى شهر رمضان وبما يقتضيه الحال .

وقد اقتبسنا بعضاً من مأثورات دعائه رضى الله عنه مختصراً فى رمضان ١٣٣٥ هجرية على مدار الشهر عسى أن ينفعنا الله بها وتفتح قلوبنا لتُشرْق فيها أنوار دعوات هذا القطب الربانى .

ومن قراءة هذه المأثورات فى الدعاء يمكن أن تستنبط منها منهجه رضى الله عنه .

(١) أنه يبدأ الدعاء دائماً رضى الله عنه بآية قرآنية أو أسماء الله الحسنى أو بالصلاة والسلام على رسول الله .

(٢) أنه يختم الدعاء كل مرة بالآية الكريمة ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾ لأنه علم سرها وفضلها من رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الذى رواه الترمذى « دعوة ذى النون التى دعا بها فى بطن الحوت ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾ فإنه لن يدعوه بها مُسْلِمٌ فى شيء قط إلا استجاب الله له » .

(٣) أنه ضَمَّن دعاءه بعض الدعاء المأثور فى أحاديث رسول الله ﷺ وبعض أسماء الله الحسنى التى لا يختارها عفواً وإنما يعلم سرها ونورها وموضعها من الدعاء للقبول والإجابة (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) .

(٤) يظهر فى دعواته الاضطرار لله والتذلل بين يديه سبحانه وتعالى واعترافه بالذنب ويتهم نفسه بالظلم ويطلب الإنابة والمغفرة منه سبحانه وتعالى وأنَّه لا يرى لنفسه فضلاً فيما وصل إليه من علوم ومقامات وأن الفضل لله سبحانه وتعالى دون علَّة وأنَّهُ يطمع فى المزيد من العلم والقرب من الله لأنه تأدب بأخلاق رسول الله ﴿ **وقل ربى زدنى علماً** ﴾ .

(٥) أنه يشمل الدعاء لأهله وإخوانه فى الله وأحباب رسول الله ﷺ وفى يوم ١٦ من رمضان فى ذكرى بدر الكبرى يتذكر حال المسلمين وما حاق بهم من ذل واستعمار ويطلب من الله النصر والتأييد للأمة الإسلامية وأن تعود إلى منهج السلف الصالح حتى يتحقق لها النصر والتأييد .

ومأثورات الدعاء لأبى العزائم فى رمضان وغيره نموذج رائع ورفيع للأدب مع الله ورسوله والعلم الربانى الممنوح له وما تكلم رضى الله عنه أبداً بكلام مكتوب أو مرتب وإنما بإلهام . فَسِرّ الدعاء ليس فى كلماته ورسومه وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم .

وإذا أردنا أن نقرأ هذه المأثورات فعلينا أن نقرأها باستحضار القلب وصفاء الروح وأن نتخيل أننا فى حضرة الله سبحانه وتعالى الذى يقول ﴿ **أنا جليس من ذكرنى** ﴾ .

* فى رمضان ١٣٣٥ هجرية

يا حىُّ يا قيُوم يا كريمَ العفوِ يا بديعَ السمواتِ والأرضِ . يا ذا الجلالِ والإكرام . وباركَ على حبيبك المصطفى ورسولِك المجتبى ﷺ وأنزل علينا السكينةَ . وطمْئِن بذكرك قلوبَنا . واشرحْ صدورَنا . وحَصِّنَّا بحصونك المنيعةِ من معاصيكَ . وفرِّحْنا بفضلِك ورحمتِك . وإقبالنا على حضرَتِك بما تحبُّه وتَرضاه . وأسأَلُك العفوَ والعافيةَ فى الدنيا والدينِ والآخرةِ . فى الأهلِ والإخوانِ . يا أرحمَ الراحمين . أسأَلُك واسعَ عطاياك ورضاك . تُبْ علينا يا إلٰهنا حتى نتوبَ . إليك سبحانك بإخلاص . وجهتُ وجهى إليك . وأسندت ظهرى إليك . وفوضت أمرى إليك . وتوكلت رغبةً ورهبةً إليك . ولا ملجأً منك إلا إليك . وسَخِرْنِي يا إلٰهنا لذاتِك بكمال العبوديّة . واجعل لى نوراً . وأيدنى بروحٍ منك . وقرِّبنى ببوادر فضلك وامنحنى الاقترابَ بتوفيقك إياىَ . حتى يكونَ القربُ منك فضلاً وإحساناً . حتى أتحققَ بحقيقةِ التوحيد . وانكشاف حكمةِ الإيجاد والإمدادِ . فأراك أقربَ من نفسى وأولى بى مِنّى .

أستغفرك وأتوبُ إليك يا مليكُ يا مقتدرُ ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* ## ١٠ رمضان ١٣٣٥ هجرية

﴿ **رب اجعلنى مُقيمَ الصلاةِ ومن ذُريتى ربَّنا وتقبلْ دُعاء ربَّنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقومُ الحساب** ﴾ أسألك يا ظاهرُ بمعانى صفاتِك وأسمائك . ويا باطنُ بكمال أحديتك . يا علىَّ بنزاهةِ قدسِك وعزتك . يا من أظهرت الأشياءَ وأنت الغنىُّ عنها . سبقت رحمتُك غضبَك وفضلُك عدلَك . وجمالُك جلالَك . سبحانَك تنزهَّتَ عن علةٍ باعثةٍ للإيجاد والإمداد . أسألك يا ذا الفضلِ العظيمِ أن تحققنى بكمالِ الإخلاصِ . وبالفناء عن الإخلاص . حتى تحفظنى بك من الظلم والبغى والإثم . وأن تواجهنى بأنوارِ جمالِك وأسرارِ وُدِّك وإحسانِك . وأسألك يا ربى أن تُصَلِّىَ وتُسَلِّمَ وتُبارك على عبدِك وحبيبِك ورحمتِك العظمى سيدِنا محمدٍ وآله .

واغفر لى خطاياىَ وذنوبى . سرَّها وعلَنَها . ما علمتُ منها وما لم أعلم . وامنحنى المزيدَ من فضلِك . وأن تبدِّلَ سيئاتى بالحسناتِ . يا ذا الفضلِ العظيم أنت وليى وحَسْبِى جمِّلْنى بالتقوى . وروِّحنى براحِ قولك سبحانك . ﴿ **ومن يتق الله يجعلْ له مَخْرجاً ويرزقْه من حيث لا يحتسب** ﴾ يا سلامُ يا منعمُ يا بَرُّ يا توابُ ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إنِّى كنت من الظالمين** ﴾ .

* ## ١٦ من رمضان ١٣٣٥ هجرية

﴿ **ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** ﴾ (الأنفال : ٧) .

﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى مُمِدُّكُم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾ ربِّ أستغيث بك يا غياثُ . ضارعاً ومبتهلاً ومضطراً ومتبِّتلاً . أنت ربى وغوثى وملاذى . أغثنى وإخوتى المؤمنين وانصرنا بنصرك يا عزيزُ يا حكيمُ . جاس أعداؤك خلالَ الديارِ . فانصرنا بنصرك . وأيدنا بروحٍ منك . وادفع عنا شرّ الكفار . وضرر الفجار . فأعداؤك أجمعوا أن يطفئوا نورَك بأفواههم وأنت القوى القاهر . تأبى إلا أن تتم نورَك . إنك لا تخلف

الميعاد . فأظهر دينك على الدين كلّه . واسلب أعداءك مدد الإمهال . وغُلَّ أيديهم امسخهم على مكانتهم . وتَنزّل علينا بإحسانك وعفوك وغفرانك . ربنا ظلمنا أنفسنا . وغيرنا ما بأنفسنا . فسلطت علينا أعداءك . وها نحن ياربَّ العالمين نسألك أن تتوبَ علينا لنتوبَ . رب جدّدْ سُنَنَ حبيبِك ومصطفاك ﷺ . وانصرنا يا ناصرَ الضعفاءِ . واجعل لى ولإخوانى وُدَّك ومدَدَك الروُّحانىّ ومكّن لى ولهم فى الأرض . وامنحنا توفيقاً لنأمرَ بالمعروف وننهى عن المنكرِ . حتى نفوزَ بوعدِك ﴿ **الذين إن مكّناهم فى الأرضِ أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروف ونَهَوْا عن المنكر** ﴾ . يا أحدُ يا صمدُ يا مالكُ يا قُدُّوسُ يا قويُّ يا متينُ حَصِّنى بحصونك المنيعةِ . أنت وليىٌّ وأنت ربى . ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾ .

٢٤ رمضان ١٣٣٥ هجرية

(ان الله وملائكته يصلون على النبى . يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) لبيك ربنا وسعديك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

اللهم صلى وسلم على الكوكب الدرى المشرق فى أفق تجلى الأسماء والصفات . والمثل الأعلى الذى أضاء لعالين . وبارك على سدرة منتهى علوم الخلائق . أتوسل إليك سبحانك بجاهه العظيم لديك . وقدره عندك . أن تواجهنا بوجهك الجميل . وأن تعاملنا بما أنت أهل له من العفو والعافية والبر والإحسان . والفضل والاكرام . وأن تهب لى قرباً منك . وحباً فيك . تجذبنى به إلى حضرتك العليه . ويسر الخير لى ولاخوانى وأحباب أحبوك فى ذاتى وزاروك فى ذاتى . يا قريب يا مجيب أن تكرمنى وإياهم بالوسعة والبركة وأن تعزنى وإياهم بعزك وتذل لى ولهم كل جبار عنيد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه (لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) .

٢٧ من رمضان ١٣٣٥ هجرية

﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ لا إله إلا أنت المجيب . أدعوك

ضارعاً موقناً بإجابتك . تجلى لنا يا إله باسمك العفو الغفور . التواب المنعم . المتفضل الشافى . المعافى الحفيظ السلام . يا مجيب الدعاء تنزل علينا باحسانك . واجعلنى من أهل الذكر الأكبر . وأنلنى الرضوان الأكبر . وتولنى وأهلى وأولادى واخوانى وافتح لنا كنوز إحسانك وأبواب فضلك . وادفع عنا ما لا قبل لنا به من الشر والفتن المضلة . وحصنى بحصونك المنيعة من الشر وأهله وهب لى مواهب احسانك . وسوابغ حنانك . يا مجيب الدعاء . أنت العطوف الشافى المعافى . وأنت الرؤوف الكافى . لا إله إلا أنت إليك المصير . (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

دعاء ليلة القدر

وقد اقتدى فيه الإمام بدعاء الرسول ﷺ بالقرآن .

اللهم اغننى بحلالك عن حرامك . اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن . وأعوذ بك من العجز والكسل . وأعوذ بك من الجبن والبخل . وأعوذ بك من الدين وقهر الرجال . (اللهم مالكِ الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) . أنت رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمها . تعطيها من تشاء . وتمنعها عمن تشاء . أرحمنى رحمة تغننى عن رحمة من سواك . اللهم فارج الهم . وكاشف الغم . مجيب دعوة المضطرين . رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمها . أن ترحمنى برحمة تغننى بها عن رحمة سواك . اللهم انك عفو كريم تحب العفو فأعف عنا .

اللهم انى عبدك . وإبن أمتك . ناصيتى بيدك . ماض فى حكمك . عدل فى قضاءك أسألك بكل اسم سميت به نفسك . أو أنزلته فى كتابك . أو علمته أحداً من خلقك . أو استأثرت به فى عالم الغيب عندك . أن تجعل القرآن ربيع قلبى . ونور صدرى . وجلاء حزنى . وذهاب همى . يا أرحم الراحمين (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) .

ومن الدعاء المنظوم

هب لنا فى الصيام نعماك [illegible] ... [illegible]ـمع الخير من عطاء وحب
هب لنا يا غفور توبة [illegible] ... طهرنا من كل جهل وحجب
أسمعنا القرآن [illegible] تفضل ... وانشرنَّه فى كل شرق وغرب
يا مجيبَ [illegible] ندعوك فاقبل ... طهرنا من الجفا والذنب

فـ[illegible] شهر الصوم فضل ورحمة ... وفيها الرضا يولى لكل فتى صب
تجل عفواً تب على تولنى ... وعفواً عن الأوزار يا غافر الذنب
سألتك بالأسماء والذات قدست ... وبالمصطفى والأنبياء حققن قربى
سألتِ إلٰهى موقناً بإغاثتى ... ووجهت وجهى فى اضطرار وفى جذب
أدر لى طهور الروح حباً وعصمة ... من النفس والشيطان والشك والريب
وأسألك اللهم علماً وحكمة ... وواسع إحسان يدوم بلا سلب
وصل على الرؤف الرحيم محمد ... وقربنا منه أيا عالم الغيب

مما يؤكد أن شعر الإمام (أبو العزائم) ليس عن علم مكتوب وإنما فضل موهوب فإن هذه المقطوعة فى الدعاء كل بيت فيها يشير إما لآية أو أكثر أو حديث عن رسول الله ونبين ذلك بالترتيب الآتى :

(١) يشير رضى الله عنه إلى معنى الحديث الشريف (شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار) وإلى الآية ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ينالها كل فتى قوى الإيمان صام نهارها وأقام ليلها ..

(٢) يشير إلى الآية ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب** ﴾ وإلى الآية ﴿ **الله ولى الذين آمنوا** ﴾ .

(٣) يشير إلى الآية ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ ﴿ **فإنِّى قريب أجيب دعوة الداع** ﴾ .

(٤) يشير إلى الآية ﴿ **وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض** ﴾ ﴿ **أمَّنْ يُجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ .

(٥) يشير إلى الآية ﴿ **يسقون من رحيق مختوم** ﴾ ﴿ **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾ .

(٦) يشير إلى الآية ﴿ **وقل رب زدنى علماً** ﴾ ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾ .

(٧) يشير إلى الآية ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

* ما أحلى كلام العارفين من أهل الله رضى الله عنك يا أبا العزائم فى هذا العطاء القرآنى المنظوم بالإشارة والعبارة !! .

* من المضنون من جوامع الكلم

للإمام محمد ماضى (أبو العزائم) كتاب فى الحِكَم جمع فيه أقواله التى تميزت بقلة الكلمات وغزارة المعنى وما حاد رضى الله عنه عن الشريعة مثل غيره من غلاة المتصوفة فقد اهتدى بقول رسول الله « **خاطبوا الناس على قدر عقولهم** » .

ويتحدث الإمام فى الحكم فى شُعَب الإيمان ويهديك إلى أقرب السبل إلى المحبة والقرب من رسول الله ويأمرك بالوسطية فى العبادات والسلوك حتى تجمع بين فضل الشريعة التى هى الباب إلى علوم الحقيقة فبدونها لا يصل واصل ويهرب أبو العزائم من الكرامات التى تفاخر بها من كان قبله لأنها آفات وحجاب يُحْجبَ بها أهل اليقين عن العمل لله وبالله فيقول فى إحدى حكمه :

« من ادعى المحبة وترك مندوباً من أحكام الشريعة فدعواه تحتاج إلى حُجَّة (أى أسقطه من نظرك) فالأصل عنده الاتّباع الكامل لرسول الله ﷺ » .

وحتى لا يراودك اليأس من الوصول إلى مقام الشهود يبشرك الإمام فى إحدى حكمه بقوله (إنما حجبك لتشتاق إليه) فالقلب ينعقد بالشوق والحب للمسافر البعيد أكثر من الملازم القريب .

ثم يبين الإمام رضى الله عنه أن أقواله يتذوقها كلٌّ على قدر إيمانه لأنه أخذ العهد على الله ورسوله ألا يبوح بحقيقة مشاهد الأسرار إلا لأهلها . لذلك يقول : إن كلامه للتقريب (العبارة لا تكشف الحقيقة بل هى مجرد تصور والحقيقة لاتُكشفْ إلا لمن شهدها) .

* بعض الحكم التى قالها الإمام فى رمضان :

* إذا أظهر لك فيك ما تحب فقم له تعالى منك بما يحب وابرأ إليه من حولك وقوتك مرتشفاً من طهور التوحيد حتى يدخلَك حصون الأمان (لا حول ولا قوة إلا بالله) .

* إذا نازعتك نفسك بحسب حركتها الفطرية وحجبت عنك الآيات فى الكائنات وحجبك علمك فجاهدها بالوارد من أصفى الموارد وقل ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ فإذا دعاك العقل إلى الحيرة فسلم الأمر لوليك وكبِّل الجسمَ بأغلال الشريعة ففيها الحصن المنيع واجعل وردك قوله تعالى ﴿ **إناَّ سنلقى عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ لينكشف لك سر ثقله على جوارحك ــ لا على لطائف قلبك فإن آيات القرآن تؤنس لطائف القلب وتسجن الجوارح فإن من لا يصبر على نار الدنيا راضياً يردها فى الآخرة مقهوراً .. يشير الإمام إلى الآية ﴿ **قل نار جهنم أشد حراً** ﴾ وإلى الحديث (الدنيا سجن المؤمن) .

* توسط فى حال السلوك فاعمل لدينك ودنياك حتى تكون عاملاً فى الشريعة فإذا وصلت فاعمل لدينك وآخرتك حتى تكون عاملاً بقلبك وجسمك فإذا تمكنت فاعمل لله وخل ما سواه واعتصم بقوله تعالى ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ .

يكفيه ويرزقه وهو وليه يخرجه من الظلمات إلى النور ..

وكما قال النبى الصالح ﴿ **وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت** ﴾ .

ومن حكمه رضى الله عنه :

* كل شىء فى الكائنات ملكته زهدته إلا الحق سبحانه وتعالى كلما قربت منه واتصلت به اشتد شوقك إليه

* علامة حب الله ذكره .

* إن رفعة الدرجات لا تكون بالكرامات ولكن بترك الآفات .

* من اطمأن قلبه بذكر الله لا يأنس بسواه ولا يعبد إلاَّ إياه .

* من ملأ بطاح الأرض بالعبادة ولم يذق صافى شراب المحبة فهو أجير سوء فالمحبة هى الأساس الذى أسس عليها الدين ولولاها ما بذل المهاجرون والأنصار أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله .

مواجيد الإمام (أبو العزائم) فى رمضان

ما ترك الإمام رضى الله عنه ركناً من أركان العبادات أو ذكرى لرسول الله ﷺ سواء فى مولده أو معراجه أو هجرته وجهاده وما ترك عيداً للأمة الإسلامية إلا وتغنى بها فى مواجيده التى كان يلقيها كل يوم حال الذكر أو الدرس أو الخلوة أو أثناء سفره مستلهماً النفحات الربانية ومعانى الآيات القرآنية أو هَدْى رسول الله وأقواله .

أصبحت هذه المواجيد تراثاً إسلامياً فريداً لم يسبقه إليه أحد من أقطاب المتصوفة رضى الله عنهم . وكان أبناؤه وتلاميذه يسارعون لتدوين هذه المنظومات حال سماعها ليقتبسوا من أنوارها ويتعلموا من أسرارها ورغم أنها بلغت أكثر من عشرة آلاف قصيدة فلم يصلنا منها إلا القليل والله نسأل أن يهدى أحباب الإمام إلى جمعها ونشرها .

لقد حاولت أن أجد قصيدة لأقطاب المتصوفة مثل ابن عربى أو ابن الفارض أو السهروردى أو الحلاج يتحدثون فيها عن الصيام لأقدمها ضمن باب (صيام أهل الله) فلم أجد شيئاً من ذلك لأنهم رضى الله عنهم وقفوا عند بحر المحبة والتجليات ومظاهر الأنس فشغلهم عما سوى ذلك ومنهم من نجا ومنهم من أبيح دمه عندما تكلموا فى المشاهد التى لا تطيقها عقول العامة .

وقد أمرنا الإمام أبو العزائم ألا نذكر سلفه من المتصوفة إلا بالخير : فجاء فى كتابه (النور المبين) :

إذا أحببت العالم الربانى فاحذر المبالغة فيه أو الاعتراض على غيره . وإذا جلست تتحدث عن محاسن شيخك ومرشدك يجب أن تحافظ على كرامة

العلماء السابقين اقتداء بالقرآن المجيد ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غِلاً للذين آمنوا** ﴾ وما أحلى أدبك والتزامك بسنة رسول الله يا سيدى يا أبا العزائم .

ما ترك أبو العزائم رضى الله عنه يوماً فى رمضان إلا وتغنى بقصيدة أو دعاء أو بعض الحكم .

وكم كانت مهمتى عسيرة لأقتبس لكم بعض مقتطفات من مواجيده الرمضانية فأتيت لكم بأبيات معدودة من بعض القصائد منعاً للإسهاب وأرجو ألا أكون بذلك قد انتقصت من جمالها وقد حرصت أن تكون هذه النماذج على مدار شهر رمضان عام ١٣٣٢ هجرية و١٣٣٥ هجرية أى منذ سبعين عاماً وما فقدت نضارتها بل زادها الزمان حلاوة لمن عشقوا علوم أهل الله . فهؤلاء هم الورثة (هم درجات عند الله) ..

يقول المصطفى ﷺ : « **العلماء ورثة الأنبياء** » .

ومن أجل الاستدلال فقط وليس للاعتراض نذكر بعض الأبيات لأهل الله من أمراء المتصوفة :

الحلاج : والله ماطلعت شمس ولاغربت   إلا وحبك مقرون بأنفاسى
ولاهمت بشرب الماء من عطشى   إلا رأيت خيالاً منك فى الكاس

السهروردى : لاذنب للعشاق إذ غلب الهوى   كتمانهم فنما الغرام فباحوا
افناهموا عنهم وقد كشفت لهم   حجب البقا فتلاشت الأرواح

ابن القارض : علم الشوق مقلتى سهر الليل   فصارت من غير نوم تراكاً
ويقول ولو خطرت لى فى سواك إرادة   على خاطرى سهواً قضيت بردتى

سحنون : فأجسادهم فى الأرض تغلى بحبه   وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى

رابعة العدوية : فأما الذى هو حب الهوى   فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له   فكشفك لى الحجب حتى أراكا

هؤلاء من صفوة سلاطين العشق الإلهى ، أشعارهم تطرب لها النفس وقد كشف الله لهم عن نور العقل فهاموا فى بحر السر وسكروا من شرابه فلم يخرجوا منه فكشفوا عن مظاهر مشاهدتهم وعشقهم للذات الإلٰهية وأخذ الله عليهم العهد ألا يبوحوا بأسرار الذات وما لا تتحمله عقول العامة من العلوم الربانية فمنهم من التزم بعهد الله ومنهم من نفذ صبره فلم يتحمل أنوار التجليات ﴿ **انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ فباح بما لا يباح فأريق دمه ، وحتى وهم مساقون إلى الموت لم يشغلهم ذلك عن شهود فضل الله .

ومما قاله السهروردى بعد أن ساقوه إلى الموت :

لا تظنـــــــــوا أنى ميت ليس ذا الميت أنـــــــا

لذلك يقول الإمام أبو العزائم الذى حفظ عهد الله ورسوله الكريم :

احفظن سرى فسرى لا يباح من يبح بالسر بعد العلم طاح

والحكمة تقول :

من أظهر من العلم ما لا يطاق أوقع غيره فى الشقاق

لذلك نرى أن أشعار وقصائد هؤلاء القوم من أهل المحبة اقتصرت على التغنى بالعشق الإلٰهى وتجليات الذات التى أكرمهم الله بها بعد أن وصلوا إلى مقامات الفناء والشهود فهامت أرواحهم بالقدس الأعلى ولم يفسروا لنا فى أشعارهم علوم الشريعة والعبادات تفسيراً جمالياً ولم يسلطوا عليها الأنوار الربانية ليظهر فضل الله وحكمته فى قوله تعالى :

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾

أما الإمام أبو العزائم ففى معظم أعماله يشير إلى رسول الله ﷺ ويقول :

كل الذى أنا فيه فضل محمد منه بدا واليه كان وصوليا

ويربط علوم الشريعة بعلوم التصوف ثم يجمع بين العشق الإلٰهى وأسرار العبادات وحكمتها حتى يقبل عليها العبد بأدب العبودية ومحبة الذات الصمدية فتكون كما قال فى قصائده معتصماً بعلوم الشريعة التى يعتبرها الإمام أبو العزائم هى باب الوصول إلى المقامات العرفانية ومتصلاً بعلوم اليقين وأن تعبد الله كأنك تراه كما جاء فى الحديث .. ذلك لأن الله قد أقامه بفضله فى مقام الوراثه لعلوم الله ﷺ . كما قال النبى « **العلماء ورثة الأنبياء** » ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ .

فمحبته لله لم تنسه فضل رسول الله ﷺ على العالمين ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ولم تنسه مسئوليته كمعلم وأستاذ لعلوم الشريعة فى جامعة أم درمان أو عن مسئوليته أمام الله كمرشد فعاش طول حياته مفسراً للقرآن وحديث رسول الله وأحكام العبادات .

فتكلم من فيض الله مُتَّبعاً لا مبتدعاً فهداه الله إلى الصراط المستقيم والسبيل القويم ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ .

وإذا كانت كتبه رضى الله عنه والتى أشرت إلى بعضها أخذ فيها بعلوم القرآن والسنة الشريفة فمواجيده كشفت عن مقامات الرجل وأسرار العبادات وفضلها ونورها مع الالتزام بالأدب مع الله ورسوله فما من قصيدة تكلم فيها عن مقام أو مشهد له إلا وأتَّهَم نفسه بالنقص وطلب من الله التوبة والمغفرة وجمع رضى الله عنه فى قصائده بين مشاهد الحضرتين :

حضرة الذات الإلٰهية	والذات المحمدية
علوم القرآن	وعلوم الشريعة
عالم الملك	وعالم الملكوت
عالم الجسد	وعالم الأرواح

ومن الدلائل التى تشير إلى عُلُوّ مقامه فى علوم القرآن وأن الله سبحانه وتعالى قد فتح عليه من أسرار القرآن وأنواره أنك تجد أن قصائده دائماً تشير إلى آيات القرآن الكريم إما نصاً ظاهراً أو معنى باطناً أو إلى حديث لرسول الله ﷺ .

بعض مواجيده الرمضانية

جمع فى قصائده بين مشاهد التجليات والفيوضات الإلٰهية والمقامات وبين علوم الحقيقة وأسرار النفس البشرية والعبادات .

وقبل أن نقدم لكم نموذج من بعض قصائده نقول : إن شرح النصوص التى اقتبست بعضها من القصائد الرمضانية للإمام محمد ماضى أبو العزائم وهى محاولة منى لتقريب المعنى على قدرى وليس على قدر المتكلم .

إن كلام أهل الله امتزج برموز وإشارات تستر مقاماتهم وحقيقة مشاهداتهم التى كشفها الله سبحانه وتعالى لبصيرتهم وقد وجدت فى هذه المنظومات الجديد فى المبنى والمعنى والذى يكشف عن علو مقام الإمام رضى الله عنه كشفاً وعلماً .

وحتى أتوخى الإيجاز فى تفسير هذه النصوص ونترك للقارىء تذوقها حسب مشَربه وصفاء نفسه فأبدأ بشرح عام لبعض العبارات أو المسميات التى سترد فى هذه القصائد والتى وجدت فيها الجديد وحلاوة المعرفة الربانية ، ومن ذلك وصف الصيام بأنه **عبادة الإحرام وترك الترك والتجريد** .

ومن الأمثلة لذلك قول الإمام رضى الله عنه :

كبر الله حيث تم صيامى　　قَلْبُ أقِبلْ فى حُلَّةِ الإحرام
فُرِض الحج بعد صومٍ لمعنى　　سرُّه الوصْلُ وارتشاف المدام

شهد الإمام حكمة الله سبحانه وتعالى فى ترتيب الشهور والعبادات وأن الحج يأتى بعد الصيام بشهر تقريباً وسر ذلك وحكمته أنك عندما تُحْرِم

بالحج تتجرد من زينة الدنيا ولباسك الظاهر لعيون الخلق لذلك مهَّد الله سبحانه وتعالى لك الطريق لتتجرد قبل الحج فى رمضان من شهواتك الظاهرة والباطنة السِّر إحرام لعين الحق.

ويقول الإمام: إنك فى رمضان تتجمل بتطهير نفسك وتزكيتها — يقول الرسول ﷺ «**لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام**» وتكون بعد ذلك مستعداً للهجرة إلى عرفات الله فيلتقى إحرام الباطن بإحرام الظاهر فتتصل بالله القريب لتشرب من فضله وعطاياه ثم يقول الإمام رضى الله عنه:

صومى الترك ترك مألوفَ حسى   منه طُهْرِى من رين طبعى ولبسى

إن الإحرام من شهواتك يقتضى ترك ما تعوَّدت عليه وألِفتْه من مقتضيات الجسد البشرية إلا أن الترك عند الإمام (أبو العزائم) ليس له نهاية.

وأدنى مظاهر الترك هو أن تترك شهوة البطن والفرج ثم تترك شهوات الجوارح: السمع والبصر واللسان وهكذا ثم تترك شهوة القلب وتُطَهِّر من الأغيار ويقول الإمام فى حكمة له (إذا تطهرت القلوب من العيوب سارعت إلى علام الغيوب) ثم تترك شهوات النفس مثل حب المال والنساء واللهو ﴿**قل متاع الدنيا قليل**﴾ ثم تترك شهوات الروح الميالة إلى الكرامات ومظاهر التجليات لأن ذلك يحجبها عن مقام اليقين والاصطفاء وهكذا فإن الترك فى علوم الإمام لا أول له ولا آخر لأن العليم الحكيم هو الذى ﴿**يعلم السر وأخفى**﴾

ثم يقول الإمام:

من أنا والصيام جرَّد عنى   ظِلَّ حسِّى وسورِ نفسى رغام
هل أنا الروح قدْ تجردَّت عنها   أم أنا صورة لحقٍّ أمامى

وينتقل الإمام رضى الله عنه إلى معنىً جديد وكأنه يقول: إن الإحرام والترك لا يتم إلا بالتجرد فالنفس ترتبط بالجسم البشرى وتميل إلى الشهوات وحُظوظ الدنيا ﴿**أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه**﴾ وذلك لا يتحقق إلا بالمجاهدة والصبر — يقول

سبحانه وتعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى** ﴾ والتجرد هو نزع الشيء وسلخه من موضعه كالذى يجرِّدُ اللحم من العظم مثلاً . وقد استخدم الإمام كلمة التجرُّد مرة للجسد ومرة للروح ولكل منهما معنى ومبنى فقد رجع لأصله فى الصورة الطينية للجسد ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ وطبيعته التى تميل إلى شهوات الأرض فيجردها قهراً بالمجاهدة ليتخلص من شهوات الجوارح وشغاف الحس ثم يجرد الروح من الخيالات والأوهام والدواعى الملهية عن الله فيرى الله ظاهراً أمامه فى مرائى الكون بأسمائه وصفاته ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

هى الروح جردها من السفل سارعن إلى الحق مضطراً إليه فراراً

والنصوص التالية قالها الإمام رضى الله عنه فى رمضان المعظم عام ١٣٥٠ ــ ١٣٣٢ هجرية أى منذ سبعين سنة تقريباً .

كبر الله حيث تم صيامى قَلْبُ أَقبِلْ فى حُلَّة الإحْرَام
فُرض الحج بعد صومٍ لمعنى سرُّه الوصل وارتشاف المدام
فى صيامى طُهْرٌ لنفسى ، جهادى بَعْدَهُ القُرْب عند بيت السلام
كبر الله يالسانى شهــوداً فى مقام الحضور والاعتصام
تمَّ شهر الصيام والقلب يرجو من إلٰهى عَفْواً من الإحرام
تبتُ ربى إليك من سوء فعلى فَأقْبَلَ التوَّب أعْلِ ربِّى مقامى

مظهر المعانى :

شهد رضى الله عنه هلال رمضان فكبر الله تكبير طاعة وإقبال عليه سبحانه وتعالى بِسرِّه وكأنه يقول :

لبيّكَ ربَّنا أحرمت لك بقلبى لأشرب من خمرة القرب

وفى الحديث القدسى (أنا عند المنكسرة قلوبهم) ثم شهد حكمة الله فى الإحرام بجوارحه الباطنة تمهيداً للإحرام بالحج ظاهراً من المَخيط واللباس كما سبق أن شرحنا .

إن فضْل الصيام لا أول له ولا آخر فقد طهر نفسه بالمجاهدة ــ يقول الرسول ﷺ « **جهاد النفس هو الجهاد الأكبر** » فأصبح قلبه بيتاً لربِّنا السلام ﴿ **وتحيتهم فيها سلام** ﴾ وفى الحديث القدسى (لم يسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن) .

وفى ذلك يقول الإمام فى موضع آخر :

صار عند القلب والقلب غدا بَيْتهُ المعمور بالنُّور الجَلِىّ

وبعد أن كبر الله باطناً كبره بلسانه ظاهراً تقديساً وتنزيها بعد أن شاهد كشفاً وإلهاماً من الله فضل الصيام وهو فى حالة الصَّحْو معتصماً بشريعة رسول الله وسنته .

فى ختام شهر رمضان يستأذن الإمام بقلبه ويرجو أن يشمله بعفوه عندما يتحلَّل من هذا الإحرام ومقتضيات الصوم ثم يختم الشهر بالتوسل والابتهال إلى الله أن يقبل توبته من سيئات أفعاله وهى ليست سيئات الذنوب ولكن الوَلي يشهد دائماً تقصيره فى العبادات وعجزه عن حق الشكر لربه ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ وذلك حتى يتوب عليه سبحانه وتعالى ويرفعه إلى أعلى مقام ﴿ **وأنتم الأعلون** ﴾ .

لنشهد فى شهر الصيام تَنزُّلا ليجْذِبنا مناً بنَارِ غرام
فصومى إحرام لروحى ومقْصِدٌ . وكعبتها غيبٌ عِلىٌّ سام
أطوف بصومى حول كعبتك التى هى الذات فى شرع وفى استعصام
وما الصوم إلا خلع هيكلى الدَّنِى وما الفطر إلا الوصْلُ بعد فطام
تجردَّت من رسمى ومقتضياته من التوب توبى فى ضِياَ إحرام
يجرِّد صومى الرسم والروح عندها تَلوُح لعقلى رُتْبةُ الإلهام
أصوم عن الأكوان عُلْواً وسافلاً وأفطر عند البرِّ عنْدَ سلام
وهذا صيام الإلٰهيين لربهم ومنه لدُنْ وصلى علىَّ قيام
إحِنُّ إلى شهر الصيام لأننى من البدء كان الصوم سرّ غرامى

بعد أن قربنا بالشرح معنى الإحرام والتجريد نقول وبالله التوفيق :

شهد رضى الله عنه فى رمضان المعظم نِعَمَ الله سبحانه وتعالى التى اختص بها هذا الشهر من تنزيل القرآن وليلة القدر وغفران الذنوب والتشبيه بالملائكة فجذبته هذه النعم وملأت قلبه شوقاً وعشقاً لحقيقة الصيام فأحرم بروحه فعرجت إلى أنوار الذات الإلهية ولكنه يعلم أن ذاته سبحانه وتعالى غَيْبٌ حُجِبَتْ عن جميع خلقه ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ فسارع إلى روضه الذات المحمدية يطوف حول أنوارها وهى علوم القرآن والشريعة معتصماً بها من الزلل ومقتَدياً برسول الله ﷺ شارحاً منهجه ..

يقول رضى الله عنه إن حكمة الصيام ليست الجوع والعطش وإنما تجريد الهيكل البشرى من شهواته السفلية ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ ليرتفع إلى مقام القرب والوصول وكما فَرِحَ رضى الله عنه بالصيام يفْرحُ بالفطر عملاً بحديث المصطفى ﷺ « **للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه** » .

يواصل الإمام الكشف عن أسرار الصيام والتجرد من مقتضيات الجسم البشرى والتجرد من التوبة فى ظل إحرامه لأن الأصل فيها أن يتوب الله عليك أولاً ﴿ **ثم تاب عليهم ليتوبوا** ﴾ ثم يتجرد من شهوات الروح ليتجلى الله سبحانه وتعالى له بالإلهامات والفيوضات الربانية ﴿ **كلُّ من عليها فان ويبقى وجه ربك** ﴾ ثم يرتقى بنا الإمام مرة أخرى بالصوم فهو يفر من مظاهر الكون عالم الملك والملكوت فلا يشهد إلا المحسن (البَرّ) سبحانه وتعالى ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ فيكون جزاؤه سلاماً منه سبحانه وتعالى ﴿ **سلام عليكم بما صبرتم** ﴾ بعد أن واصل صيامه بقيام الليل فأصبح عبداً ربانياً (عبدى أطعنى تكن عبداً ربانياً) ..

ثم يقول لنا إنَّ هذا الصيام ودرجاته التى عرفتها لكم هو صيام العاشقين المتبتلين الذى قال فيه فى موضع آخر :

فنيت وعن نفسى خفيت وعن أنا ۝ فلم يبق إلا الوجه والكون كالمنسى

وهذا هو صيام السر الذى لا يحيط به إلا الذى يعلم السر وأخفى والذى قال عنه الإمام الغزالى :

قلوبهم سماوية وأرواحهم عرشية ونفوسهم سائحة فى عالم السر .

ويختتم الإمام هذه المشاهد العالية العرفانية بأنه يشتاق إلى الصيام ويحن إليه منذ الأزل لأنه كان غرامه عندما كانت روحه فى عالم الذر فشاهدت أنوار وجهه الكريم مشاهدة عيان وبرهان وتفريد بالوحدانية ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى **﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾** (لقمان : ٢٨) .

ويسمى المتصوفة هذا اليوم بيوم العهد أو يوم ألست بربكم .

١٠ رمضان ١٣٥٩ هجرية

صومى الترك ترك مألوف حسى ... منه طهرى من رين طبعى ولبسى
كان صومى الإحرام قبل اتحادى ... صار صومى المدام من غير كأس
غبت فى الصوم عن صيامى وجهدى ... غاب عنى الصيام يومى وأمسى
فيه يجلى للروح غيب التجلى ... لاح صومى من قد تجلى لرأسى
جدد الصوم لى شهودى وجودى ... صرت رمز الإيجاد فى كنز قدسى
صُم كما صام من دنا فتدلى ... وافْطِرَنْ فطره تَفُز بالأنس

بعد أن تحدثنا عن الترك والإحرام يتكلم الإمام مرة أخرى عن الإحرام بمشهد مختلف فعلوم العارفين تتغير تبعاً للحال والمقام لأنهم يشربون من بحر المعارف اللَّدُنِّية **﴿ وآتيناه من لَدُنَّا علماً ﴾** فيحدثنا مرة أخرى عن يوم العهد الأول **﴿ ألست بربكم ﴾** الذى أشرنا إليه عندما كانت روحه فى برزخها فى عالم الذر سَمِيعَة بَصِيرةً صَائِمةً وبعد ذلك اتحَّدت الروح النورانية بظلام

الهيكل البشرى ولكن صيامه أعادها إلى أصْلِها النُورانى فَشَرِب من خَمْرة القُربْ والعلوم بغير واسطه أو كأس ﴿ **عيناً يشرب بها عباد الله يفجرّونها تفجيرا** ﴾ والسكر أو الشرب إشارات صوفية ترمز إلى مقام الفناء مع وجود الصفات البشرية فيشاهد العبد أسرار النعم فى الكون أو يغيب فى مقام المحبة فلا يشاهد إلا أنوار المنعم ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ .

وأرجو ألا يساورك الشك فى هذه المشاهد فقد حدثتك عن أولياء الله فى هذا الباب حتى يطمئن قلبك ، حدثتك عن مقاماتهم والله سبحانه وتعالى قد ضرب لك مثلاً عندما تَغِيب بحواس جسدك فى النوم وتنطلق روحك فتشاهد وترى وتسمع والله سبحانه وتعالى أنعم على هؤلاء بهذه المشاهد فى يقظتهم ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ .

عندما وصل الإمام رضى الله عنه إلى مقام الفناء غاب عن أوصافه وأعماله وصومه فلم يَعُد يرى الليل منْ النهار بعد أن تجلَّت لروُحه مظاهر الأسماء والصفات وأسرارها وحركتها وتسبيحها ﴿ **وان من شىء إلا يسبِّح بحمده** ﴾ فرجع إلى نفسه ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ شاهد فيها رمزاً لقدرة الله سبحانه وتعالى فى إيجاده ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً** ﴾ .

ويشير فى هذا الرمز إلى نفخة القُدْس الأولى ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحى** ﴾ فشهد نور العقل الأول الذى سجدت له الأملاك (أول ما خلق الله العقل فقال له : أقبل) .

والرسول ﷺ يشرح لنا هذا المقام فى الحديث الشريف « **من عرف نفسه عرف ربه** » يقول سبحانه وتعالى ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ .

ويعود الإمام إلى حال الحُضُور والصَحْو بعد أن أنعم الله عليه بهذه المعارف والمشاهد فيقول إن الفضل فى ذلك هو اتباعه لسنة رسول الله ﷺ الذى قربه الله ﴿ **دنا فتدلى** ﴾ فاقتدى بسنته ففاز بالأنس وشراب المحبة ﴿ **وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾ والله أعلم .

١٦ رمضان ١٣٥٠ هجرية

من أنا والصيام جرَّد منى ظِلَّ حسِّى وسور نفسى رغام
هل أنا الروح قد تجردت عنها أم أنا صورة لحق أمامى
أم أنا البيت قبل صومى ظلامى فى صيامى جردت للإحرام
فى صلاتى لدى الصيام أرانى جامع الحضرتين خل ملامى
كعبتى فى الصلاة حال صيامى فوق قدر الأرواح فوق كلامى
جدد الصوم نشوتى فى صلاتى كعبتى فى الصلاة فوق الغمام
يا مجيب المضطر آنس وجدد فى صيامى جمالك الإلهام

يشرح الإمام صوم الربانيين العاشقين بعد أن تحللوا وتجردوا من شهوات الحس فعرجت أرواحهم إلى مقام الشهود فيتساءل قائلاً :

ألم أكن بيتاً ومظهراً لخلافة الربّ ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ وكنت مُجمَّلاً بصفات وأسماء الحق الذى جعلنى سميعاً وبصيراً وبيتاً لنفخة القدس النورانية فأسجد لى الملائكة ﴿ **فاذا سويته ونفحت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾ فجمعت فى الصيام مظهر الحضرتين :

الصيام	والصلاة
الجسد	والروح
عالم الملك	والملكوت

يقول الإمام على كرم الله وجهه :

أتحسب أنك جرْمٌ صغير وفيكَ انطوى العالم الأكبر

يقول فإذا كانت الكعبة هى قبلتى فى الصلاة شرعاً فأصبحت مشتاقاً لأشهد نور وجهه الكريم ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** ﴾ وهذا غيب فوق قدر اللسان والكلام فرجعت إلى سِدْرة علوم الخلائق محمد ﷺ لأرتوى منها يقول الرسول الكريم « **صلوا كما رأيتمونى**

أصليّ » فعرجت روحى إلى الملأ الأعلى حتى صعدت صلاتى حال صيامى فوق السموات السبع ويقول الرسول ﷺ « **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » وهذا مشهد ربّآنى لا يحيط به إلا الذين أوتوا العلم والإيمان .

ثم يظهر الإمام عجزه منيباً إلى الله سبحانه وتعالى فيدعوه باضطرار العابدين ليجدّد له حظوة الأنس ويرفع درجاته بأنوار الجمال التى هى سر هيامه وعشقه والله أعلم .

لقد ازداد علمى يقيناً عن مشاهد وسياحة الروح التى تغنّى بها الإمام أبو العزائم عندما قرأت للعالم الجليل الأستاذ أحمد الباقورى فى كتابه (عالم الروح) الذى نقل فيه عن الإمام ابن القيم وهو من أهل السنة والسلف الصالح ، وقد جاء فيه :

(إن نظام الكون وما فيه يخضع لضوابط وليدة روح تقوم منه مقام الروح من الإنسان ومن الحق أن نقول : إن الكون كله قد جعل الله له روحاً تحفظ عليه نظامه الذى أراده الله وجمّله . القاعدة التى يأخذ بها أهل السنه أن صفات المعانى (أسماء الله) التى أودعها سبحانه وتعالى مخلوقاته هى صفات وجودية قديمة قائمة بذاتها بحيث لو كشف عنها الحجاب لرأيناها . ومن كمال حكمته قضت أن يتميز أهل الإيمان بمشاهد تغيب عن غيرهم ومن يتبع ويتدبّر آيات القرآن وأبنية الكلمات يُثبتْ له أن الصفة للموصوف) .

معنى ذلك أن من صفات الله اسمه (الحى) ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **وجعلنا من الماء كل شىء حى** ﴾ فروح هذا الاسم تسرى فى مخلوقاته ﴿ **أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** ﴾ فمن كشف عنهم الحجاب من أهل الله تشاهد قلوبهم سر وروح هذا الاسم كائنه فى مخلوقاته ــ يقول الرسول ﷺ « **الأرواح جنود مجندة ما تشابه منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** » وهذا الوصف الأمين إنما يقرب الكثير من معانى ومشاهد أهل الله رضى الله عنهم :

خَفِيتُ ولولا الصوم أثبت رُتْبتِى   لأحرقت السَّبحاتُ ما كنتُ أدرْيه
جَمعْتُ بصومى مشهدين تنازعاً   لدى السَّلب والإيجاب والصوم يُفْنيه

هو الصوم بالتشبيه يستر رُتْبتى وفى حضرة التَّنزِيه إخفاء تشبيه
وسوحى أيا روحى وسوحى تَقَربُّاً إليه بتقرِيب به لَكِ يَجْلِيهِ

هذه الأبيات ضِمْن قصيدة قالها الإمام رضى الله عنه فى الخلوة فى حالة وجْدٍ وعِشْق ولا أعتقد أنِنَّى أستطيع أن أفُك رموزها النورانية وكل ما أقوله هو للاستدلال والتقريب .

يقول الرسول ﷺ « **إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور لو كُشِفَ منها حجاب واحد لأحرقَتْ سبحاتُ وجهِه الكريم ما وصَلَ إليه** » .

كأن الإمام يقول إنه فى حال صَوْمِه عَرَجَتْ روحه إلى الملكوت الأعلى وشاهدت التجليات والفيوضات الإلٰهية وأن الصيام أفنى التناقض والنزاع بين لوازم الجسد البشرية وإطلاقات أنوار القدسية فتشبَّه بالملأ الأعلى من الملائكة . ولما كان هذا المقام سراً بينه وبين ربِّه المنزَّه عن كل تشبيه ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ فلم يفصح رضى الله عنه إلا عن عروج روحه وسياحتها بعد أن جانست الملأ الأعلى فوصلت إلى مقام القرب ﴿ **فاسجد واقترب** ﴾ وأن ما قاله لا يكشف عن حقيقة حاله وشهوده ولكنه للتشبيه فقط حتى تشتاق أنت إلى عطاء الله لهؤلاء الرجال وتتأدب بعلومهم فينالك نصيب من حبهِّم (يحشر المرء مع من يحب) صدق رسول الله ﷺ .

من بعض منظوماته يودع بها شهر رمضان

قابل التوب ثَبِّتَنْ قَلبْ عبد ابتغى سيِّــدى منك خيراً
فى ليال الصيام تُب واغفِرَنْ لى يا إلٰهى الذنوب وامح الضُّرا
نَوِّرنْ ظاهرى بشرعك نَوِّر باطنى باليقين ليلة ذكرى
ليلة القدر أشهِدْنى التَّجلِّى كى أنال الشهود قدراً وبدراً

هذه القصيدة مما قاله الإمام عن مشاهده فى ليلة القدر فى رمضان ١٣٥٠ هجرية والتى صام نهارها وأقام ليلها مرتِّلاً القرآن فكان هو المتكلِّم به والسامع له تنزيلٌ من عزيز حميد ولما كانت تلاوته فى الفجر فقد شهدت بصيرته ملائكة السماء ﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾ .

ثم يسأل الله التوبة والمغفرة ومَحْوَ الذنوب وكما نور الله ظاهره باتباع رسول الله والاقتداء بشريعته وسنّته تضرَّع إليه فى هذه الليلة المباركة التى أنزل فيها القرآن أن يُنَوِّر باطنه باليقين ليكون وارثاً لعلوم رسول الله ﷺ وفى معيةٍ المولى سبحانه وتعالى ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾ ثم يجمع رضى الله عنه بين ليلة القدر وعطاياها ويوم بدر وانتصاراته ويسأل الله أن يتجلَّى عليه بمشاهد وأسرار هذه الليالى المباركة ليكون مع رسول الله ﷺ حالاً ومقالاً ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ .

مضى الصوم والله العلىُّ الباق	**هو الواحد الوهاب والمنعم الواقى**
إلى غافر الذنب المجيب ضَراعَتى	**إلى المنعم التواب صححت أشواقى**
تنزَّل مجيباً واغِفرَنْ لى خطيئتى	**لأشهد نور الوجه فى الإشراق**
إليك اجذبَنىِّ بعد صومى بِوُسْعَةٍ	**أدِرْ لى طهور الحب أنت الساقى**
وفى محكم القرآن آى صريحةٌ	**﴿ سقاهم ﴾ وإنى ثمَّ فى إشفاق**
مضى الصوم أنت الله جل جلاله	**تفضَّل تَجلَّ بالصَّفا يا باقى**

يودِّع رضى الله عنه شهر رمضان بالأدب والتسليم فيقول إنَّ كل شىء له عمر يأتى ثم يمضى وهكذا انقضى شهر رمضان ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فهو سبحانه وتعالى الذى انفرد بالوحدانية والبقاء .

ولما كان يعلم رضى الله عنه أنَّ الله يُحِبُّ أن تناديه بأسمائه الحسنى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ ليقيم الحُجَّة سبحانه وتعالى على ملائكة السماء بعباده الصالحين فقد دعاه رضى الله عنه باثنى عشر اسماً من أسمائه الحسنى بدأها بالاسم الجامع لجميع الصفات والأسماء (الله) ثم دعاه بأسماء الجمال والكمال (المجيب ــ الغفور ــ الوهاب ــ المنعم ــ النور ــ الواقى ــ الواسع ــ المتفضل ــ التواب) ولكل اسم أسراره وأنواره عسى أن يكون فيها الاسم الأعظم الذى إذا سئل به أعطى واستجاب .

وما طلب رضى الله عنه من ربه مالاً أو متاعاً وإنما يسأله سبحانه وتعالى طهور الحب ليجدِّد شوقه إلى نور وجهه الكريم ويتحقق له وعده فى محكم

القرآن : ﴿**وسقاهم ربهم شراباً طهوراً**﴾ وبكل الأدب الذى تعلّمه من رسول الله يقول إنَّ كل هذه العطايا والمقامات هى من فضل الله وليست بعمله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

مع الإمام أبو العزائم فى رمضان المعظم

لسنا بصددِ التأرِيخ لحياة الإمام رضى الله عنه وقدس سره فقد كتب عن ذلك إخوان من الصادقين « حياة الإمام أبو العزائم » للأستاذ عبد المنعم شقرف المحامى والسيد محمود أحمد ماضى جزاهم الله خيراً .

وإنْ كنا نعتقد أن تجديد التراث الإسلامى الذىْ خلفَّه لنا الإمام من قصائد ومواجيد وكتب وعلوم هو الأصل الذى يجب أن نسعى إلى شرحه وتفسيره ونشره بقدر حاجة المجتمع المعاصر حتى نقدم إلى المكتبة الإسلامية الحديثة ما ينفع العامة والخاصة .

لذلك اقتصرت فى العمل الذى قدمته فى هذا الفصل على قبس يسير من مشكاة علومه ـــ رضى الله عنه ـــ فيما يتعلق برمضان المعظم وعبادة الصوم .

وربما يدور فى خلدك سؤال : إذا كان هذا هو حال هؤلاء العمالقة الذين أفنوا أرواحهم فى حب الله والعمل بشريعة رسوله الكريم فأحبَّهم وأحبوه فأغدق عليهم من كنوز علمه المكنون . ونحن أمة آخر هذا الزمان ضعفت نفوسنا أمام الفتن التى أحاطت بجوانب حياتنا شرقاً وغرباً فأين المخرج والمفر ؟ .

نقول إنَّه كلما زادت فتن الدنيا كان أجْرُ المجاَهَدة ولو بالكلمة [الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر] ثوابها فى الميزان كبير أو على الأقل.نفْهَم معنى الحكمة (فتشبهَّوا إن لم تكونوا مثلهم) أو نحبُّهم ونسأل الله أن يرزقنا حبَّهم والرسول ﷺ يفتح لك باب الرجاء فيقول « **يُحشَر المرءُ مع مَن يُحبّ** » .

لقد تركنا من سيرة الإمام رضى الله عنه ما كُتِبَ عن كراماته وهى كثيرة ليس عن عمد ولكن لأن ذلك يخرج عن القصد كما تركنا الروايات النقلية وما أعظم حلاوتها وصدقها رغم أنها جاءت على لسان من لا تشك فى أمانتهم .

لقد أوردنا جانباً من أعماله وفى مجمل القول أنه كان رضى الله عنه مقتدياً برسول الله ﷺ : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ كان مؤدباً مع الله ورسوله عملاً وحالاً ويصف لنا الإمام رضى الله عنه بعض صفات العالم الربانى فى كتابه « شراب الأرواح » وهى التى التزم بها فى حياته فيقول :

ذليل للحق . عزيز على الباطل . يجيب العالم بالقول . ويجيب السفيه بالصمت . لا يشاحن ولا يداهن ولا يغتاب . يعاون الإخوان على طاعة الله ولا يكشف لهم سراً . سليم القلب من الغل والحسد . وحسن الظن بالمؤمنين . يحب النعم للعباد ولا يتمنى زوالها لا يفاخر أو يترفع على أحد لا يؤاخذ بالعثرات أو يأخذ بالإشاعات . يعفو ويصفح عمن عاداه ولا ينتقم لنفسه . ذاكراً لله وشاكراً ويجتهد فى العبادة ويرى نفسه مقصراً ومذنباً . لجأ إلى الله فقوّى ظهره . وثق بربه فاستغنى عن غيره . أُنْسه بالله . كلما زاد علمه خاف أن يكون ذلك حُجَّة عليه . همُّه تلاوة كلام الله وتدبُّر القرآن وفهمه وسنة رسول الله ﷺ فتأدب بأدب القرآن والسنة . لا ينافس أهل الدنيا فى عزِّها ولا يجزع من ذُلِّها . يمشى على الأرض بالسكينة والوقار . لا يفرغ قلبه من ذكر الله . اتسعت له العلوم فتراكمت عليه الفهوم واستحْياً من الحى القيوم .

كلما اتسع علمه زادت خشيته وبكاؤه ﴿ **إنَّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجَّداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعْدُ ربِّنا لمفعولاً ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾ (الإسراء : ١٠٧ ـــ ١٠٩) .

ويقول رضى الله عنه عن العِلْم الربَّانى « **ما كشف لك غيباً لا تدركه بحواسك** » ثم يقول : تواضعوا لله فقد كان إبليس من كبار العلماء فاستكبر فأهلكه علمه وطرد من رحمة الله . الرحمة من أخص صفاتهم لأنهَّم ورثة رسول الله ﷺ وهى أجمل صفات الرسول الكريم .

ويقول الإمام فى بعض مواجيده ذاكراً تمسكه بالشريعة ومحبة رسول الله ﷺ :

إليك رسول الله جئنا وإننا بفَضلِك فى حصن منيع ورفعة
وها هى روحى هرولت نحو حبكم ووافت وشوق زائد وصبابتى
وحصِّنى بالشرع واحفظ طريقتى وأهلى وإخوانى وكل أحبَّتى

ويستغيث رضى الله عنه برسول الله ﷺ عشقاً ويحفظ السر بأدب المعيَّة معه ﷺ :

فغرامــــى فى التهامـــى قد علانى وهـو مُضْمـر
يا غيـاث الكـون رفقـاً بِفتـىً فى الحىِّ يُذْكَـر
ومنـــاه منك وصلاً ورسول الله أخْبَـــر
جُدْ بحقِّك يا حبيبـــى فَدِمـي قد كاد يُهْـدر
قد وافـانى السَّعـدُ لما صار عِشْقى فيك يُشْهَر

ويقول السيد محمد أحمد ماضى أبو العزائم فى كتابه عن حياة الإمام :

كان رضى الله عنه شديد الحرص على التقرب لله سبحانه وتعالى بالْقُرُبات فى ليالى التنزلات فكان يحيى من رمضان ليلة بدر وليلة القدر والليالى العشر فى أواخره من ذوات القدر وخصوصاً السابعة والعشرين منها ثم إذا فرغ من رمضان استعد لإحياء العشرة الأوائل من ذى الحجة وكأنه هو فيها فى إحرام للحج ويواصل ليله بنهاره فى مذاكرة القرآن والسنة ويتغنَّى بمواجيده عن أسرار الصيام والحج وله فيها ما لا يحصى قدره ويغيب حصره وعدُّه .

إنَّ هذا القول من شاهد عيان رحمهُ الله ورضى عنه يَدُلُّ على أن ما جاء فى مواجيد الإمام والتى أشرنا إليها كانت حاله ظاهراً وباطناً وينفذُّه بطبعه على نفسه الشريفة قولاً وعملاً .

كان رضى الله عنه وجزاه الله عنا خيرَ ما أُعطَى أولياءه وأحباءه يقْتدى برسول الله قولاً وعملاً وسلوكاً فى كل أوقاته فما بالكم فى رمضان .

كان رضى الله عنه يبدأ يومه بركعتى الضحى التى أوصى بهما رسول الله خاصته ثم يبدأ عمله بقراءة البريد اليومى الذى يأتى له من جميع الأقطار ويُملى الردود أو المقالات للصحف اليومية أو يملى مقالاته فى تفسير القرآن والأحاديث التى كانت تنشر تباعاً فى مجلة « المدينة المنورة » ويعمل حتى يقوم إلى صلاة الظهر ثم يدخل إلى بيته للراحة .

وعندما يحين وقت صلاة العصر يقوم الإمام ويؤذن للصلاة بنفسه احتفالاً بهذا الشهر الكريم وينهى الأذان بهذه الكلمات المضيئة :

يا أمة خير الأنام . ومصباحَ الظلام . رسول الله الملك العلام . أقبلوا على الصلاة والصيام .

وبعد صلاة العصر يبدأ مجلس قراءة القرآن وتلاوته مع الحاضرين حتى تحين صلاة المغرب فيؤذن رضى الله عنه ثم يفطر على تمرات كما كان يفعل رسول الله ﷺ ثم يصلى المغرب ويجلس فى المسجد ليتناول الإفطار مع جميع الحاضرين والذى يكون قد أمر بإعداده لجميع إخوانه فبيت الإمام رضى الله عنه كأن دار ضيافة لكل من حضر فيه طعام الجسد وطعام الروح .

وبعد ذلك يستريح الإمام رضى الله عنه حتى تأتى صلاة العشاء ويصلى بالناس صلاة التراويح ثم يبدأ العمل الربانى .

يجلس رضى الله عنه ليفسر القرآن خلال الشهر كله ويروى أنه كان يفسر القرآن كل رمضان على وجه يختلف عما سبق وكان العلماء يأتون إلى مجلسه يسألون ويناقشون ويرد عليهم بالحجة .

وفى ليلة جاء يستمع إليه الشيخ على عبد الرازق صاحب الكتاب المشهور الذى أثار ضجة فى عصره (الإسلام وأصول الحكم) وكان بعد ذلك وزيراً للأوقاف . وأراد الشيخ بعد أن استمع أن يختبر الإمام ليعرف عما إذا كان الكلام الذى يقوله الإمام فى التفسير هو كلام منقول ومحفوظ من السابقين أم هو فيض موهوب من عند الله فقال للإمام :

يا سيدى أنا لم أتابعك فى التفسير فأرجو أن تعيد على ما قلته .

فهم الإمام مقصوده فأعاد تفسير الآية على وجوه أخرى كل تفسير يختلف عن الآخر حتى قام الشيخ على عبد الرازق وقبل يده . ذلك لأن كلام الأولياء هو فيض من عند الله .

ثم يقوم بعد ذلك إلى مجلس الذكر ويلقى المواجيد أو الدعاء الرمضانى وقبل منتصف الليل يعود إلى البيت يتهجد فى خلوته مع ربه لا يعلم حاله إلا الله وذلك حتى صلاة الصبح .

وفى بعض الأحيان يجلس فى خلوة خاصة مع بعض خاصته يشرح لهم من مضنون العلم ما يرفع درجاتهم ويزكى نفوسهم .

وقد اختص الإمام رضى الله عنه النصف الآخر من رمضان لزيارة آل بيت النبوة فى مساجدهم ويرتجل فى حضرتهم القصائد وأنقل إليكم بعضها :

*** زيارته للإمام الحسين فى ٢٢ من رمضان ١٣٥٢ هجرية**

إلى الإمام حسين السبْط أستجدى غذاء روحى لأُسقَى عنده الراحا
راح المحبة من حان النبوة من سبط النبى لديه القلب قد ساحا
فى ليلة من ليالى القدر ساطعها يُجْلِي لروحى الضّيا والطيب قد فاحا

*** ويقول رضى الله عنه فى روضة الإمام الحسين**

وضّحت سيدى لروحى سراً آى ﴿لا أسألكم عليه أجراً﴾
يا حسين الإمام يا سبط طه يا غرام تزكيه فيك الذكرى
نور شمس الهدى الحسين ملاذى فضله هاطل ونعماه تترى

يشير رضى الله عنه إلى قوله سبحانه وتعالى :

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ .

وإلى حديث رسول الله ﷺ :

« الحسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً » .

*** ويقول الإمام فى روضة السيدة زينب رضى الله عنها فى ١٩ رمضان ١٣٣٥ هجرية**

يا ابنة الزهرا البتول جئت ألتمس القبول
أنت شمس أشرقت بالضيا من الرسول

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ .

*** وهذه نبذة عن أعماله الظاهرة لنا فى رمضان**

كان رضى الله عنه يتأهب لرمضان ويفرح بهلاله المبارك ويستعد لاستقباله بهمة العابدين العاشقين ويقتدى بأعمال رسول الله ﷺ .

كان رضى الله عنه ..

يعمل ويأكل من عمل يده .

يصوم نهاره ويقوم ليله .

يُطْعِم الطعام ويقضى حاجة الناس والتى له فيها تصريف .

يصل الرحم التى أمر الله أن توصل .

يزور إخوانه من الصالحين وينفق الصدقات سراً وجهراً .

يفسر القرآن ويعتكف فى العشر الأواخر من رمضان مالم يكن خروجه من الاعتكاف لعبادة .

يصل أهل بيت رسول الله ويزورهم فى مساجدهم ويتوسل إلى الله .

وعندما أخذ عليه بعض العلماء زيارة الأضرحة أجابهم بالقرآن فقال :

إن أجهل مسلم يعلم أن الله هو النافع والضار ولكن الله جعل بعض الأماكن مباركة وعلينا أن نتأدب بأدب القرآن ـــ يقول سبحانه وتعالى فى حق زكريا النبى عليه السلام : ﴿ **هنالك دعا زكريا ربه** ﴾ أى فى المحراب الذى كانت تتعبد فيه السيدة الصديقة مريم عليها السلام فاستجاب له ربه ووهب له غلاماً زكياً .

* تأدب مع ربه سبحانه وتعالى ومع رسوله ﷺ واضرب لك مثلاً ..

اليافعى رضى الله عنه من علماء القرن الخامس الهجرى الذى درس علوم القرآن والحديث فى الحجاز ومصر والشام يقول بعد أن شرب قدراً من كأس المحبة وسكرت روحه رضى الله عنه وشهد أنوار التجليات قال :

فيا ليلة فيها السعادات والمنى
لقد صغرت فى جنبها ليلة القدر
فلما شربنا الراح فى ساحة الرضا
أتانا أغرُّ السَّعد بالخلع الخضر

أما الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فلم تشغله أحواله ومقاماته عن فضل ليلة القدر وشرفها وعظيم قدرها الذى أخبر الله سبحانه وتعالى عنه فى القرآن وقد نقلت إليكم بعض ما تغنى به رضى الله عنه فى هذه الليلة المباركة وأضيف إلى ذلك ما قاله :

ياليلة القدر قرآن الهدى يتلى عن سر ما فيك بالآيات والقول
من ألف شهر لنا خير وفيك رضا أملاكه تنزلن بالوصل لا الفصل

أحواله رضى الله عنه هى : أحوال أهل الله ، وصيامه هو : صيام النفس القدسية المطمئنة ، هو صيام السر فى مقام التمكين والوارثين ــ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ .

جمع رضى عنه بين العشق الإلهى وعلوم القرآن ومحبة رسول الله ﷺ فكان رضى الله عنه من أهل الله الذين وصفهم الإمام القشيرى فقال عنهم :

استقاموا فى أصول التوحيد والمعرفة فجمعوا بين الحب والمعرفة لا تشوب معرفتهم الحظوظ فسلكوا طريق الأئمة المرشدين .

ويرى الإمام رضى الله عنه أن المقامات والعطايا العرفانية التى تفضل الله بها عليه إنما ترجع إلى محبة رسول الله ﷺ وأتباعه ويقول فى ذلك :

كل الذى أنا فيه فضل محمد منه بدا وإليه كان وصولياً

وقد نقلت إليكم بعض ما ورد فى كتاب (عالم الروح) للعالم الجليل الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى جاء فيه (أن صفات المعانى التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى مخلوقاته هى صفات وجودية قديمة وقد قضت حكمة الله أن يتميز أهل الإيمان بمشاهد تغيب عن غيزهم وقد كشف عنهم الحجاب فشاهدت قلوبهم سر روح أسمائه فى مخلوقاته) .

الإمام أبو العزائم يفك لنا رموز هذا الكلام ويكشف لنا عن معانيه من سبعين سنة مضت فيقول :

يا قلب شاهد جمال الحق مبتهجاً فى الماء والشمس والأشجار والنسم
يا قلب آيته فى الكون مشرقة لاحت بلا حجب للنفس كالعلم
فى كل أفق ترى الآثار ناطقة تسبِّح الله بالمعنى بلا كلم
الله أكبر قد لاحت دلائله بما أفاض من الإكرام والنعم

وهكذا يشرح لنا الإمام رضى الله عنه سر قوله تعالى :

﴿ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ .

لقد دعا رسول الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما أن يعلمه علوم القرآن فقال (اللهم علمه الدين وفَقِّهْهُ فى التأويل) وقد ورث هذه العلوم من بعده من رضى الله عنهم ورضوا عنه .

هو الله لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى حجب الأسرار عمن يشاء من خلقه بإرادته وكشف الحجاب لمن يشاء من أهل محبته بأمره وبمشيئته وتصرَّف فى ملكه كيف يشاء بعزته وحكمته ، ويضرب الله لنا الأمثال بين عالم الظهور وعالم الغيب لتظهر قدرته وحُجَّته فى عالم الملك وعالم الملكوت .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ .

لا إله إلا هو العزيز الحكيم ..

أخى القارىء عسى أن تكون يا أخى قد عشقت الصيام واشتقت له كما فعل هؤلاء السادة الأطهار الذى رفع الله درجاتهم :

﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾

وعذراً فما وفيت للحديث قدراً أو أدركت له فضلاً ولكن أدعو بدعاء القرآن العظيم :

﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾

« صدق الله العظيم »

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب إخوانى فى الله وأحباب رسول الله ﷺ .. والسلام ،،،،

المراجع

(١) القرآن العظيم .

(٢) أسرار القرآن . تفسير الإمام محمد ماضى أبو العزائم

(٣) لطائف الأشارات فى تفسير القرآن — الإمام القشيرى

(٤) الترتيب والبيان فى تفصيل آى القرآن — الأستاذ/محمد زكى صالح

(٥) دليل آيات القرآن الكريم — الدكتور فهمى الشافعى

(٦) إعجاز القرآن — مصطفى الرافعى

(٧) الأحاديث القدسية الجزء الأول والثانى — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(٨) الكنز الثمين فى الأحاديث النبوية — لأبى الفضل عبد الله الحسينى

(٩) فتح القريب المجيب (الحديث الشريف) — السيد علوى بن عباس المالكى

(١٠) دلائل النبوة — لأبى بكر البيهقى

* **مؤلفات الإمام محمد ماضى أبو العزائم**

(١١) صيام أهل المدينة (السلف الصالح)

(١٢) معارج المقربين

(١٣) التائبون

(١٤) العابدون

(١٥) الإسلام دين الله

(١٦) النور المبين

(١٧) أصول الوصول

(١٨) شراب الأرواح

(١٩) بشائر الأخيار فى مولد المختار

(٢٠) دستور السالكين

(٢١) الحِكَم وجوامع الكلم

(٢٢) الطهور المُدَار

(٢٣) المواجيد والقصائد الرمضانية للعام الهجرى ١٣٢٨ ، ١٣٣٢ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥٢
(٢٤) حياة الإمام أبو العزائم — الأستاذ عبد المنعم شقرف المحامى
(٢٥) فى رحاب الإمام أبو العزائم — السيد محمود أحمد ماضى أبو العزائم
(٢٦) إحياء علوم الدين — الإمام الغزالى
(٢٧) عالم الروح — الأستاذ/أحمد حسن الباقورى
(٢٨) السر الأعظم — الدكتور مصطفى محمود
(٢٩) حِكْمة أحكام الدين — فضيلة الشيخ عبد الباسط القاضى
(٣٠) القرآن والنَّبى — الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
(٣١) نور الأبصار للنبى المختار — الشيخ الشبلنجى
(٣٢) النفحات الربانية — العارف بالله الشيخ أحمد رضوان
(٣٣) أسماء الله الحسنى — فضيلة الشيخ حسنين مخلوف
(٣٤) ذكريات الصيام — فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى
(٣٥) غفران الذنوب — الأستاذ محمد عبد الرحمن
(٣٦) تغريدة النبوة — الشيخ محمد عايش
(٣٧) فلسفة الصيام — الدكتور أحمد غنيم
(٣٨) كتاب الصيام — فضيلة الشيخ عبد اللطيف المشتهرى
(٣٩) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم — ابن عطاء الله السكندرى (شرح ابن عجيبة)
(٤٠) معالم الطريق — السيد محمود أبو الفيض المنوفى
(٤١) حياة وأخلاق الأنبياء — الأستاذ أحمد الصباحى
(٤٢) الصيام فى القرآن والسنة — دكتور شعبان محمد إسماعيل
(٤٣) كشف المحْجُوب — أبو الحسن على إسحق الهجويرى
(٤٤) الحب الإلٰهى — فاروق شوشة
(٤٥) منبر الإسلام — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
(٤٦) نهج البُرْدَة — البوصيرى
(٤٧) الشوقيات — أمير الشعراء أحمد شوقى

شكــر

أجد لزاماً أن أوجه الشكر والثناء لأخوه لا تربطنى بهم سوى المحبة فى الله ورسوله فقد وجدت منهم التشجيع والعون فى إصدار هذا الكتاب وأخص منهم بالذكر :

ـ السيد الأستاذ محمد عبد الفتاح حسن (رئيس جمعية آل العزم الدينية ببورسعيد) .

ـ السيد الاستاذ محمد البيلى (واعظ جمعية أولى العزم الدينية بالقاهرة) .

والله أسأل أن يجزيهم عنى كل الخير ،،،،

محمد رشوان

يظهر قريباً للمؤلف

* اسرائيل والحرب النووية

١ــ اليهود يعرفون كل شيء عنا فماذا نعرف نحن عنهم .

٢ــ كيف نفهم العقلية الاسرائيلية .

٣ــ العلاقة بين الصهيونية واليهودية وهل الشعب الاسرائيلى يؤمن بالتوارة .

٤ــ ما هى العلاقة بين اضطهاد اليهود فى الدول المسيحية وعدوانهم وتحديهم للعرب .

٥ــ كيف خرج اليهود من الجزيرة العربية .

٦ــ لماذا تمتلك اسرائيل القنبلة الذرية وفكر المؤسسة العسكرية .

٧ــ كيف يخططون لخريطة اسرائيل عام ٢٠٠٠ .

فهرس الكتاب

الفصل الخامس

الفصل السادس

الامام محمد ماضى أبو العزائم والصيام

مطابع فتحى الصناعيه

٥٤ شارع بورسعيد ـــ السواح ـــ الأميريه
تليفون ٩٢٦٢٨٩ ـــ ٩٢٦٩٧٣



هــذا الكتــاب

هل نستطيع أن نُطهِّر قلوبنا من هموم الدنيا وحُجُب الغفلة حتى تُشرق فى صدورنا أنوار الصيام ونستقبله إستقبال العاشقين فنقول عندما يشرق هلال رمضان :

« لبيَّك ربنا وسعْدِيْك » « سَمِعْنا وأَطَعْنا » فمرحباً بشهر الصيام ومائدة الرحمن التى بسطها على الأرض لعباده المؤمنين ونتذوق قول ربنا سبحانه وتعالى :

﴿ فلا تَعْلَمُ نفس مَا أُخْفِى لَهُم مِنْ قُرّه أَعْين ﴾ .

وقول نبياً ﷺ :

« لو أذن للسموات والأرض أن تتكلما لقالتا بشرى لمن صام رمضان » .

* ما هى مشاهد الصيام فى القران العظيم وفى أحاديث رسول الله ﷺ الجامعة التى كشف فيها فضل الصيام وأسراره ..

* وكيف كان صيام الأنبياء وصيام رسول الله ﷺ وصحابته وأهل الله من بعده الذين وقفوا فى هذا الشهر بأدب العبودية على أعتاب الربونية ..

صُمْ كما صَام مَنْ دَنَا فتَدلَّى

وافْطِرَنْ فِطْرِه تَفُزْ بالأ

* سوف تجد بين دفتى هذا الكتاب المتعة الروحية . تكون بأذن الله من أهل « ليلة القدر » التى هى خير من أ شهر ..

« وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

٢٠٠ قـرشا